أسترالوبيثيكوس

م.محمد نبيل كبها

أسترالوبيثيكوس

"نسق"

فلسطين – نابلس – شارع تونس

بجانب مسجد أم سلمة

أسترالوبيثيكوس

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الطبعة الاولى
٢٠٢٦م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

المقدمة

بقلم الكاتبة والشاعرة / آمال زكريّا

مقدمة حول الكاتب:

رحلة الوعي.. من عزلة التأمل إلى ضجيج الحقيقة، الفيلسوف والمفكر محمد نبيل كبها بصفته باحثاً لم يركن يوماً للمسلمات الجاهزة، أكتب هذه السطور لأضع بين أيديكم خلاصة رحلة فكرية لم تكن سهلة. لقد آل على نفسه منذ البداية أن يكون قلمه سلاحاً في معركة الوعي، ومنارةً تنير عتمة التضليل الذي غلّف العقول لعقود. إن سيرته كفيلسوف ومفكر لم تُصنع في قاعات المحاضرات فحسب، بل صُهرت في "خلوة البحث" وعزلة التأمل التي قضاها بين جبال فلسطين؛ هناك حيث اكتشف أن الحقيقة لا تُنال إلا لمن تجرد من الانحيازات المسبقة. إن منهجه الذي تبنّاه في هذا العمل وفي كل أطروحاته، يقوم على "الربط المحكم" بين العقل الصريح والنقل الصحيح. لقد آمن دائماً بأن العلم الحقيقي لا يمكن أن يصادم الفطرة، ومن هذا المنطلق وجّه بوصلته الفكرية نحو تفتيت "صنم المادية" الذي يمثله الفكر الداروينى. أفكاره لا تنبع من مجرد عاطفة دينية، بل هي نتاج تحليلٍ دقيق للفيزياء الكونية، والبيولوجيا، والأنثروبولوجيا، والسياسة العلمية التي تُدير العالم اليوم .في هذا الكتاب، يقدم لكم فكره الذي رفض "التبعية العلمية" العمياء. لقد سعي لأن يكون ذلك الصوت الذي يكشف زيف "الخيال العلمي" الملبس بثوب الحقيقة، وأثبتّ أن منطق السببية هو القانون الأسمى الذي يحكم الوجود. إن ما طرحه هنا هو دعوة لإعادة الاعتبار للإنسان ككائنٍ مكرم بوعيه، وليس مجرد حادثة بيولوجية عابرة. إنها سيرته التي خطّها بمداد اليقين، مؤمناً بأن الحق أبلج، وأن الباطل مهما تجمل بحلل العلم، يظل لجلجاً وتذروه رياح الحقيقة.

مقدمة حول الكتاب:

في حضرة "داروين".. قراءة في وهمِ الصُّدفة حين شرع الفيلسوف والمفكر والباحث محمد نبيل كبها في سبر أغوار هذا المؤلف، كان هاجسه الأول هو الوقوف وجهاً لوجه أمام واحدة من أكثر النظريات التي صبغت وجه التاريخ الحديث بصبغةٍ ماديةٍ بحتة؛ نظرية التطور لعالم التاريخ الطبيعي البريطاني "تشارلز داروين". لم تكن رغبته مجرد سردٍ علمي، بل كانت دافعاً لزلزلة تلك

الأركان التي قضّت مضجع الحقيقة الإنسانية، وحاولت جاهدةً أن تقتلع منطق "الخلق" من جذوره لتغرس مكانه بذور الإلحاد والصدفة. إنه يضع اليوم أفكار "داروين" على منضدة التشريح بكل شفافية، ليبيِّن للقارئ كيف تحولت هذه الفرضيات من محاولاتٍ في الجيولوجيا والأحياء إلى سياجٍ من التضليل العلمي الممنهج. إن ما ستطالعه في هذه الفصول الأحد عشر ليس مجرد نقد، بل هو كشفٌ للبهتان والخداع الذي مورس باسم العلم لتبقى هذه النظرية على قيد الحياة رغم تهالك أدلتها. لقد تعمّق في "أصل الأنواع" وإطار النظرية، ليكشف كيف استغل دعاة التطور جهل العموم وغياب ثقافة القراءة في أمتنا، ليبثوا سمومهم في حُلةٍ جديدة، متناسين أن السجل الأحفوري الذي استندوا إليه لا يزال صامتاً، ويفتقر لأهم دليلٍ مادي: "الحلقة الوسطى الانتقالية". إنه أخلص في هذا العمل إلى أن التطور، في جوهره، ليس نظرية علمية تخضع للمختبر، بل هو "عقيدة وإيمان" أيديولوجي يُراد منه نفي الخالق. وفي المقابل، سيثبتُ عبر فصول هذا الكتاب أن الطبيعة بكل كائناتها لا تنطق إلا بالسببية والمنطق، لتظل بصمة الخالق العظيم هي الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن لتزوير أو بهتان أن يحجب ضياءها .

بقلم الكاتبة والشاعرة / آمال زكريّا

جزائرية الجنسية

تمهيد أول..

ذهب كابتن روبرت فيتزروي (Robert FitzRoy) بصحبة داروين لأحد الشوطئ النائية، ليناقش ويحاور أحد القبائل البدائية التي تدعى "الفويجنس" -وهم السكان الأصليين لأرض النار- وكانوا عراة، يعيشون وعوراتهم مكشوفة لبعضهم وللجميع.

فقدم لهم القماش المصنوع من القطن، وبعض الأزرار -وكانت تقدر قيمتها بشيلينين وقتها- وطلب في المقابل بعض أطفال القبيلة الزائدين عن حاجاتهم مقابل هذه الأزرار.

فقامت القبيلة بمنح ثلاثة اطفال من أطفالهم للكابتن فتزروي مقابل هذه الأزرار، حيث وجدوا فيما بينهم أن هذه الأزرار الجميلة والتي تلمع قيمتها أغلى من أطفالهم الثلاثة.

أخذ فيتزروي بصحبة داروين هؤلاء الأطفال الثلاثة كمشروع، ثم نظفوهم، وألبسوهم الثياب، ودرسوهم، وقاموا بتعليمهم الأخلاق والقيم، وآداب الجلوس حول المادة، وكيف يمسكون بالشوكة والسكينة، ويتناولون الطعام بها وليس بيديهم.

ومع مرور الوقت مات الطفل الأول "بوت" بالجدري، بينما "جيمي وفويجا" بقيا على قيد الحياة، وتقدموا بالتعليم والآداب، حتى أنهم استطاعوا الإلتزام بالمواعيد، وتعلموا كيفية الصلاة والدعوات.

وفي يوم من الأيام دعاهم الملك والملكة لمقابلتهم والتعرف عليهم، فلبوا دعوته وتجهزوا لمقابلته.

لبسوا أحسن الثياب، وانطلقوا، وحينما وصلوا دخلوا القصر برفقة الحراس، وأثناء ما كانوا يتوجهون نحو بلاط الملك، كان جيمي ينكش منخريه بأصبعه، ثم يشم القذارة العالقة بمقدمة أصبعه، حتى وصلوا ووقفوا أمام الملك والملكة.

ابتسم الملك والملكة في وجه جيمي وفويجا، وانحنى كل من جيمي وفويجا للملك والملكة، وحيوهم، وحياهم الملك والملكة والحضور في المقابل.

أهدى الملك لجيمي تلسكوب نحاسي، وأهدت الملكة لفويجا قبعتها الثمينة، ثم انصرفوا وعادوا للمنزل.

بعد عامين أعاد الكابتن فيتزروي برفقة داروين الطفلين لوالديهما في قبيلة الفويجنس، وكانوا مرتبين ويلبسون أفضل وأرقى الملابس، كان جيمي بيده التلسكوب النحاسي الذي أهداه إياه الملك، وكانت فويجا ترتدي قبعة الملكة، وكان فيتزروي يظن أنه قد تمكّن من تعليمهم القيم والأخلاق والآداب والنظافة، وأنهم لن يتغيروا، وأن الديانة المسيحية روّضتهم، وجعلتهم أفضل وأحسن وأنظف، لأن المتعارف عليه وقتها أن الديانة المسيحية تروض أقسى القلوب وأكثر الناس همجية وبربرية.

وكان فيتزروي يعتقد أن هذين الطفلين سيكونان رسلاً لقبيلتهم الهمجية والبدائية، وكان يظن بهما أنهما سيدعوان قبيلتهم الهمجية نحو عبادة الرب والتحلي بالقيم والأخلاق، وارتداء الملابس بدلا من السير بمؤخراتهم المكشوفة لبعضهم وللجميع، لكن ماذا كانت النتيجة؟

كانت القبيلة بانتظار فيتزروي والوفد المرافق معه ومن جملتهم "جيمي وفويجا"، وحينما وصل فيتزروي وداروين بصحبة جيمي وفويجا لشاطى القبيلة، حتى وقف جيمي وفويجا أمام القبيلة ووالديهما، فألقى جيمي بالتلسكوب بعيداً، وخلعت فويجا قبعة الملكة عن رأسها، ثم نزعوا عنهم الملابس جميعها، وراحوا يركضون عراة وبمؤخراتهم المكشوفة مع أقرانهم من أطفال القبيلة.

وفشل فيتزروي في ترويض هذين الطفلين، وذهب عناء السنتين معهم هباءاً منثوراً.

تمهيد ثانٍ..

داروين حاول أن يستثني الإنسان من عملية التطور والإنتقاء الطبيعي، لكن هكسلي ذكر داروين مرة أخرى بأن قوانين الرب لم تغير طباع وسلوك قبيلة الفويجنس، وأن سلوك الإنسان كشكله البدائي البدني يتطور طبقا لاحتياجاته.

حيث استشهد هسكلي بطفلي الفويجنس، وقال لداريون: "لقد صرفت عامين من عمرك لتعليمهم وتدريبهم وتدريسهم القيم والآداب والأخلاق، وألبستهم أجمل وأفضل الثياب لمدة عامين، وبعد أن وصلوا إلى قبيلتهم خلعوا كل ما عليهم، وراحوا يركضون بمؤخراتهم دون أي قطعة تغطي عوراتهم، وهذا أكبر دليل على أن المسألة جينية".

ثم قال هكسلي لداروين: "أليس هذا هو كلامك! ولذلك فقدنا الأجزاء التي ليس لها حاجة مع مرور الوقت، كحلمة الثدي عند الرجل، والآن سنفقد إيماننا بالرب، وهذا هو المطلوب يا داروين".

ثم التفت هكسلي -كلب داروين- نحو داروين وقال له: "لقد قتلت الرب!"

بهذه العبارة "لقد قتلت الرب!" بدأ داروين مشواره بالتخلص من الكهنوت المسيحي وعذابه الأبدي عبر نظرية التطور والآلية الأساسية التي بُنيت عليه "الإنتخاب الطبيعي".

واليوم.. داروين ليس له كلب واحد فقط، وإنما قطيع كامل من الكلاب التي تعوي من أجله ودفاعاً عن نظريته.

تمهيد ثالث..

في لحظة كان فيها داروين قد أنهك في التفكير بنظريته حضرت ابنته "آني" وقالت له: "لا ترهق نفسك يا أبي.. انها مجرد نظرية؟!".

فأجاب والدها داروين: "انها ستغير كل شيء.. الإنسان سيتوقف عن الإيمان بأن للرب خطة من أجله.. لا شرف، لا حب، لا غاية، لا إيمان.. فقط صراع وحشي أناني من أجل البقاء!!".

أما عن زوجة داروين "إيما" -وكانت مسيحية مؤمنة ومتدينة جدّاً- فقد قالت له: "هل تهتم حقاً بالحياة الأبدية؟ أو بأنك لن تدخل أبواب الجنة؟ وبأننا سنفترق للأبد؟"، فرد داروين: "أنا نخلة محايدة.. وأنا في الجحيم أصلا"، فأجابته زوجته: "أعتقد أنك في حرب مع الإله.. وكلانا يعرف أن هذه الحرب ليست في صالحك".

وأثناء صك نظرية التطور واعداد داروين لكتابه "أصل الأنواع" قال أنه سيسعى إلى إبعاد الرب عن أسطر الكتاب، وأن الرب سيرى بلا شك أن هذا هجوم شخصي عليه، ثم أردف في النهاية يقول: "لن أكتم ذلك في نفسي وسأقول الحقيقة.. إنه صراع من اجل البقاء".

قبل أن أشرع

أُطلق هذا الكتاب من منظور علمي، دافعه الإشتباك الفكري مع الداروينيين وعلماء وأنصار نظرية التطور الذين شيّدوا تكوينهم الفكري وفق فكر عالم التاريخ الطَبيعي والأحيائي والجيولوجي البريطاني تشارلز داروين " Charles Robert Darwin" ووفق ما توصلت اليه نظرية التطور "Theory of Evolution"، الذين يتحركون بنوازع الإلحاد بجل ممكناته لتكون رواية الإلحاد مقابل حقيقة الإيمان بخالق.

مُعرياً بهذا الكتاب العلمي كل أنواع الخداع والتضليل والتدليس والكذب، والذي انخرط فيه معظم علماء الغرب والعرب والمسلمين في سبيل تقويم نظرية التطور، بعد سقوطها في أكثر من مناسبة على مرّ التاريخ، معتمدين مرّة على الصدفة، وأخرى على الطفرة، وثالثاً على أزلية المادة، وأخرى على الجين الأناني، ومرّة على التفاعلات الكيميائة والفيزيائية، وأخرى على الطبيعة، وعلى الأحافير المزورة، وغيرها.

وللأسف أن هناك ثلة من المفكرين وعلماء العرب والمسلمين المأجورين وغير المأجورين من ذاب في خطاب النظرية، فراح يشيع رغبته المشبوهة في بثها على المائدة العربية والإسلامية وفق مفكرة عالمية دوافعها خفية ومضلّلة، طلباً في ذلك المال أو الكرسي أو الشهرة والحصول على جائزة نوبل، عابثين في النتيجة المصيرية لكل انسان على وجه هذه الأرض "رضوان الله سبحانه والإيمان به ودخول الجنة".

لقد كان في حياة داروين كلب واحد، وهو عالم الأحياء "توماس هكسلي" المشهور ب"بولدوج داروين" أي "كلب داروين"، أما الآن فيسير من أجله آلاف الكلاب التي وظفت نفسها وعقلها وعلمها من أجل داروين ونظريته!!

سأضع النظرية في هذا الكتاب على منضدة التشريح العلمي، وسأتحدث بكل شفافية عن نظرية التطور ما بين الحقيقة والبهتان والخيال العلمي.

والله المستعان في كل أمري، وهو سبحانه من وراء قصدي..

أخوكم المفكر الإسلامي م.محمد نبيل كبها

Theory of Evolution

Charles Robert Darwin

12 February 1809 - 19 April 1882

من الجلي أن صاحب النظرية وأنصارها من العلماء على اختلاف ألوانهم وتخصصاتهم بثوا هذا الصراع الأناني البيولوجي والوجودي على صحن الوجود الذي يفسر بقاء الكائنات على قيد الحياة، معتمدين على ركيزتين اساسيتين لتمرير مشروعهم المادي "Materialism"، الأولى هي صدفة كاذبة، والثانية هي عقل تائه عند خصوص وعموم البعض.

يلاحظ من دعاة التطور أنهم لم يشتبكوا بجدل علمي حقيقي ورصين حول أسس النظرية وأركانها ومبادئها، أو أنهم لا يرغبون في أن يوقظهم العلم من غفوتهم وغفلتهم وجهلهم بأجبديات العلم.

ومن الملاحظ أيضا أن التطور يصول ويجول وينثر افسانته في الساحة العلمية متكئاً على فلسفة الإلحاد "The philosophy of Atheism"، حيث يستدعون الفلسفة من أجل الميل والموارية لتمرير مسلسل عظيم من التزييف العلمي كي تبقى النظرية على قيد الحياة.

لذلك كان لزاما علي الدفاع عن شرف العلم ونزاهته الذي طعنه علماء التطور وأنصار النظرية من باسم العلم نفسه، ولأني أحب الله "جل في علاه" قبل كل ذلك، لأنه هو -سبحانه- أصل المعلومة، وهو -سبحانه- من علّم آدم الأسماء كلها.

بكل وضوح سأعرض براهيني وحججي وآرائي في هذا الكتاب العلمي بشكل مقتصر عليه، والذي سأضعه بين يدي العلماء والمفكرين والجمهور، فالمساحة في الحديث عن هذه النظرية لا تسعه مجلدات، ولكني سأتحدث من باب إصحاء وتنبيه وتحذير العموم، حيث سأعرض أهم الأفكار العلمية التي توسلها عشاق النظرية في إزدلاف الطلاب والأكاديميين والجمهور نحوها.

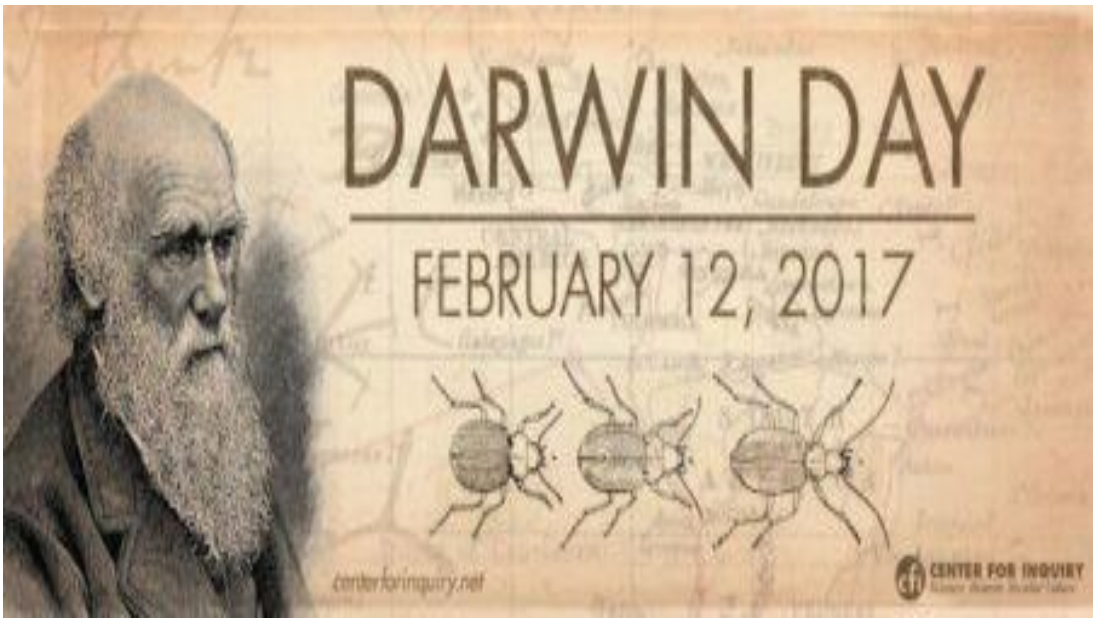
DARWIN DAY
FEBRUARY 12, 2017
centerforinquiry.net
CENTER FOR INQUIRY

يوم داروين العالمي

تأهبت فيه منظمات عديدة حول العالم، تضم ملحدين ولادينيين ولاأدريين وشكوكيين وعلمانيين من العلماء والعامة في أمركيا الشمالية وأمريكيا الجنوبية وأوروبا وآسيا بحملة استغرقت خمسة سنوات لتخصيص يوم 12 شباط / فبراير بيوم داروين العالمي.

وحققوا هدفهم عام 2009 العيد المئوي الثاني لمولد عالم الأحياء "تشارلزداروين" صاحب "نظريّة التطوّر" وصاحب الكتاب الشهير "أصل الأنواع" والتّي وضعها عام 1895م.

أظهراستطلاع في الولايات المتحدة في عام 2002 أن 45% من السكّان يؤمنون بأن "قوة الهية" خلقت الكون وكل ما فيه من حياة خلال العشرة آلاف سنه الأخيرة، ونسبة كبيرة جدّاً في زماننا تؤمن بنظريّة التطور، وأن الحياة انبثقت من اللاحياة من خليّة بدائية، حيث يثير تأييد توني بلير رئيس وزراء بريطانيا قلقا لدى المنظمات العلمانية في الولايات المتحدة حول ذلك.

والآن يوجد صراع كبير بين أنصارالخلق و أنصار التطور، وفي عصر الرئيس بوش يتحدث الملاحدة عن حملة قويّة يشنها أنصار الخلق بهدف وقف تعليم نظرية التطور في المدارس.

يقول رئيس الجمعية العقلانيه بالهند "ناريستي انايه" أنه يجب تعليم الأطفال كل شيء عن الدين في المدارس ولكن على أسس علميّة، وأضاف "يجب تعليمهم أن الآلهة والشياطين والرؤى والسماء والجحيم كلّها من خلق الإنسان وأفكاره، وأن النصوص الدينية جميعها كتبها الإنسان" .

ويُحتفل في وقتنا الحاضر "بيوم داروين" من كل أقطار العالم تقريباً، في الهند ونيبال واستراليا وجنوب افريقيا وزامبيا والارجنتين والبرازيل والبيرو والمكسيك والولايات المتحده وكندا.

وفي أوروبا يحاول الملاحدة في دول سوفييتيه سابقه مثل بولندا وسلوفاكيا الإحتجاج على المناهج الدينية التي تدرس في مدارسهم.

وفي سولفاكيا ينظم الملاحدة مظاهرات احتجاجاً على توقيع حكومتهم اتفاقاً مع الفاتيكان ينص على تدريس التربية الدينية في المدارس.

وتعتبر نظرية التطور أحد أهم أركان العلم الحديث، والسلاح الأقوى لدى الملحدين وكل الإتجاهات والمدارس والايديولوجيات التي تحوم حول الإلحاد وفصل الدين عن الدولة.

الفصل الأول

"جولة تاريخية مختصرة حول حياة تشارلز داروين"

أسرة داروين

ولد عالم الطبيعة الإنجليزي "تشارلز داروين" في انجلترا عام 1809م، في تشوزبري، وتوفي في "داون هاوس" عن عمر ٧٣ عاماً عام 1882م، ودُفن في دير وستمنستر في مقبرة النبلاء، بجوار ملوك انجلترا وإلى جانب عالم الرياضيات والفيزياء الإنجليزي الكبير "اسحاق نيوتن".

كانت عائلة داروين علمية مسيحيّة، وأسرة متدينة لم تشرب الخمر قط، تتبع طائفة التوحيديين (Unitarianism) والتي تقوم على رفضها لعقيدة "التثليث"، ومؤمنة بأن الله ذات واحدة وليس ثلاثة أقانيم، وهي الطائفة التي ينتمي إليها والد ووالدة تشارلز داروين.

والدة داروين "سوزانا داروين" توفيت وكان داروين يبلغ من العمر وقتها ثمانية سنوات، والده "روبرت داروين" كان طبيباً، وجدّه "جراسميس داروين" كان عالم نباتات مشهور، وعالماً في الزولوجي"Zoology " بالإضافة الى كونه طبيباً وفيلسوفاً وشاعراً.

كان داروين يظهر الإعتزاز بوالده كثيراً، ويساعده في معالجة الفقراء، وكان يتحدّث بغزارة عن اعجابه بوالده، وأن والده لديه القدره الاستثنائية والفراسة في معرفة النّاس، وانتخابه صديقاً له بعد عناية وتحليل، في المقابل كان والده يطمح بأن يحذوا ابنه داروين حذوه ويصبح طبيباً، إلا أن داروين كان يخشى الدماء ولا يحب رؤيتها.

له خمسة أخوة "أربعة أخوات، وأخ واحد" وهو السادس والأصغر بينهم، اراسميس -أخوه الكبير- كان طبيباً وملماً بالعلوم والفنون الأدبية، إلا أنه لم يمارس الطّب، ولم يتزوّج أيضاً، وكذلك تشارلز داروين، لم يتزوّج إلا بعدما أنفق وقتا طويلا في التفكير بين محاسن ومساوئ الزّواج، وإجراء المقارنات العديدة بما هو الأفضل له أن يتزوّج أم يبقى عازباً؟

داروين كان مهتماً بالطبيعة منذ صغره، وصديق وفير للكلاب، حتى أنه كان لديه كلبة من نوع "تيرير" تُدعى بولي "Polly" ترافقه أثناء نزهته وفي مكتبته، وقد خلدها في كتابه "التعبير عن العواطف في الإنسان والحيوان"، كما كان عاشقاً للزهور، وخصوصاً زهور الأوركيد، والتي انبهر بأشكالها الغريبة وقوتها على جذب الحشرات لعملية التلقيح، وكان يعتقد أن في هذا "تصميماً طبيعياً" بدون مصمم غيبي أو خالق يهدف لضمان بقاء النوع.

المرحلة الدراسية

على الصعيد الدراسي كان غير متفوق بمدرسته، حيث ألحقه والده بمدرسة ثانويّة سنة كاملة، ولكن مستواه الدراسي كان ضعيفاً جداً، فكان يحب مادّة الكيمياء، ولكن تحصيله وآداؤه فيها كان سيئاً، فدعاه مدير المدرسة وقتها وقال له: "أنت لست جيداً في مادّة الكيمياء وغير مبالٍ؟".

ثم ألحقه والده بجامعة "إدنبرة" في اسكتلندا -والتي تخرّج منها "آدم سميث" أبو الاقتصاد الحديث- قضى داروين فيها سنتين من أجل أن يدرس الطب، ولكنّه فشل، فحاول أن يدرس الجيولوجيا ولكنه لم يُكمل الدراسة فيها، فأخرجه والده وألحقه بجامعة "كامبدرج" لكي يصبح قسّيساً -رجل دين- ولكنّه أيضا فشل، وضيّع من عمره ثلاثة سنوات.

أثناء دراسته في جامعة "إدنبرة" تعلم فن تحنيط الحيوانات وحفظها (Taxidermy) على يد رجل يُدعى جون إدمونستون "John Edmonstone"، وهي من ساهمت لاحقا بنجاح رحلة سفينة البيجل؛ فلولا إتقان داروين للتحنيط، لما تمكن من جمع الأدلة المادية وحفظ آلاف العينات من الطيور، كعصافير الجالاباجوس "Galápagos Islands"، والثدييات والنباتات وإرسالها إلى إنجلترا لدراستها.

كان أيضاً ضعيفاً في الرياضيات، وفي أدب الكلاسيكيّات، لأنه كان بليد الذهن وبطيء الفهم والتفكير، حيث كان يأخذ وقتاً طويلاً عند التقاط المعلومة، وأيضا عندما يفهمها، وهذا سبب عدم دخوله في أي مناظرة طيلة حياته.

لكنه في المقابل كان رجلا ابتكاريّاً، يلاحظ أشياءً لا يلاحظها غيره، وتتمثل في تفاصيل الأمور، لذلك كان من صفات داروين أنّه كان شديد الحساسيّة اتجاه الإنسان والحيوان.

كانت له هواية، وهي أنه دائم الجمع للعينات الحيوانية كالحشرات والفئران، والعينات النباتية كالأعشاب والفطريات والسرخسيات.

أما على الصعيد الديني، فلم يكن يؤمن بنظريّة الخلق والخالق "Creationism"، بل كان متأثراً في صراع الطبيعة من أجل البقاء -ناباً ومخلباً- وهذا ما شككه لاحقاً بأن الله تبارك وتعالى هو من يتعمد فعل هذه الأشياء.

علاقته بالعلماء

كانت في الجامعة تحدث محاضرات عامّة، وكان أحد المحاضرين هو العالم "آدم سيدجويك Adam Sedgwick" وهو من كبار علماء الجيولوجيا، وأحد مؤسسي علم الجيولوجيا الحديث، وهو الذي علم داروين القواعد وأصول العمل الميداني في الجيولوجيا، واصطحبه في رحلة استكشافية إلى "ويلز" عام ١٨٣١، قبل ترشيحه للسفر عبر رحلة سفينة "إتش إم إس بيغل HMS Beagle" التابعة للبحرية الملكية البريطانية (1831-1836).

ولقد كان أحد المحاضرين في الجامعة أيضاً عالم النبات الشهير "جون ستيفنز هنسلو John Stevens Henslow" الأكثر تأثيراً في حياة داروين العلمية، وهو عالم في البحريّات والحشرات والمعادن والجيولوجيا والمياه، والأب الروحي لداروين، لشدة تعلقه به وملازمته للعالم هنسلو أثناء جمع النباتات، حتى لقّب داروين ب "الرجل الذي يمشي مع هنسلو".

داروين كان يذهب الى محاضرات هنسلو كثيرا لكي يتثقّف، ولتردده الكثير للاستماع الى محاضراته أحب هنسلو داروين، ومع مرور الأيام كان يرى فيه شاباً واعداً يمتلك المهارات اللازمة كطبيعي "Naturalist" لجمع العينات وتوثيق الملاحظات، ولمح فيه العبقريّة.

وأصبح يماشيه ويدعوه الى العشاء، ونشأت بينهما علاقة وصداقة حميمة.

رحلة البيجل

كانت تتهيء رحلة الاستكشاف الملكيّة البريطانيّة المشهورة برحلة سفينة البيجل "HMS Beagle" للخروج، والتي كان أحد ركابها هو أستاذ داروين وصديقه عالم النبات البريطاني جون ستيفنز هنسلو (John Stevens Henslow).

لكنه اعتذر عنها، وعرض على تشارلز داروين فرصة الخروج في رحلة السفينة عوضاً عنه، حيث عاد داروين في احدى الأيام الى المنزل ليفاجئ بوجود خطاب من أستاذه البروفيسور"هنسلو" يخبره فيها أن القبطان "روبرت فيتزروي" يعرض عليه فرصة بأن يصحبه معه في رحله حول العالم -الجزء السّفلي من خط الاستواء- ولكنّها تطوّع بغير أجر، في المقابل يكون لديه دراية في علم الجيولوجيا، ليوافق داروين على الفور.

أسرع داروين نحو والده ليخبره حول الرحلة، وكان يأمل في طلب موافقته، إلا أن والده رفض، واعتبر ذلك مضيعة للوقت، حتى تدخل الأستاذ هنسلو وأقنع **روبرت** - والد داروين- المتشدد بالسماح لابنه بالسفر.

لم يكن هناك أي خيار آخر في عين روبرت نحو مستقبل ابنه داروين المجهول، فهو لم ينجح في الطب، ولا كقس، وضيّع من عمره خمسة سنوات في الدراسة كان قد فشل فيها، فوافق والد داروين على مضد.

وانطلق داروين في هذه الرّحلهة، ومكث خمسة سنوات، وهي من أشهر الرّحلات العلميّة في التّاريخ، لأنها غيّرت مجرى العالم العلمي، وخصوصاً في علم الأحياء.

الفصل الثاني

"رحلة البيجل"

امتدّت الرحلة من عام 1831 الى 1836 مع القبطان روبرت فيتزروي (Robert FitzRoy) وكان رجل دين يؤمن بالله تعالى والخلق المستقل الخاص لكل مخلوق وحده، حيث كما سنرى لاحقاً في الأجزاء المقبلة أن القبطان فيتزروي سيموت بسبب الهرطقة انتحاباً، لأن داروين سيعلن عام 1859 في كتابه أصل الأنواع " On the Origin of Species" وكتابه أصل الانواع بالانتخاب الطبيعي " On the Origin of Species by Means of Natural Selection" أنّه لاخلق ولا تصميم، الطّبيعة هي التي تفعل في زمانيّة طويلة ممتدّة.

حيث أن القبطان فيتزروي هو الذي حمل داروين معه في السّفينة، وأن داروين بدأ رحلته مؤمناً وانتهى لاأدريّاً "Agnostic"، والجدير بالذكر أن الذي صاغ مفهوم اللاأدرية "Agnosticism" هو عالم الأحياء "توماس هكسلي" المشهور ب "كلب داروين"، والذي كان يدافع بشدة عن نظرية التطور لتشارلز داروين، واللاأدرية هي موقف فكري يعلق الحكم في الأشياء، لعدم الاعتقاد باستحالة معرفة أو إثبات وجود الله سبحانه أو القضايا الميتافيزيقية، لكن داروين كان صريحاً في كتبه عندما أعاد صياغة دور الله في الطبيعة، بأن الخلق ليس نتيجة "تصميم ذكي" مباشر لكل كائن على حدة، بل هو نتاج عملية الإنتقاء الطبيعي التي تعمل على تراكم التغيرات الصغيرة والمفيدة في زمانية طويلة ممتدة، وهذا يعني أن أصل الإنسان حيوان، وحتى من يتبنون ويعتقدون بنظرية التطور من الأكاديميين وعلماء العرب والمسلمين يعلّمونها ويدرّسونها -نظرية التطور- لطلابهم وللعامّة بشكل مغلوط على أن داروين قال بأن أصل الإنسان قرد! وهو لم يقل ذلك أبداً في كتبه، وإنما يُفهم من نظريته أن أصل الإنسان حيوان.

ولكيلا أُفهم من البعض بطريقة خاطئة، أنا لست من أنصار التطور، ولا من أتباع عالم الأحياء الشهير "تشارلز داروين" ولكني أحب أن أكون منهجيّاً وعمليّاً أثناء بحثي ومطالعتي لأي فرضية أو نظرية علمية، لذلك سأكون مُنصفاً وحياديّاً بحقه، فهو لم يقل إن أصل الإنسان قرد -كما نُقل عنه لنا من العامةّ والخاصّة- وإنما قال أن الإنسان والقردة "الأسترالوبيثيكس والهومو" جاؤوا من سلف مشترك، وهو يقصد بذلك أن الإنسان نتاج الحيوان، كما يعني أن الطبيعة هي الخالق والفاعل، وأن الله سبحانه ليس له تدخلاته فيها وفي مخلوقاته.

سفينة البيجل

السفينة كان هيكلها من خشب البلوط الصلب، وكانت من نوع بريج – سلوب (Brig-sloop) تنتمي لفئة تشيروكى (Cherokee-class) التابعة للبحرية الملكية البريطانية، يبلغ طولها ٢٧ مترًا، وعرضها 7.5 متراً، وتميزت بمواصفات جعلتها مناسبة لمهام الاستطلاع والمسح البحري رغم صغر حجمها.

كانت سفينة البيجل جزءً من الأسطول البحري الملكي، وكان في بطنها عددًا لا يحصى من اللوازم والإمدادات، وكلها مخزنة في أماكن صغيرة جدًا.

لم يكن يتخيل داروين مدى صغر السفينة، حيث بلغت مقصورة مؤخرة السفينة (١٠) أقدام و(١١) قدمًا (طولًا وعرضًا) والتي تقاسمها داروين ورجلين آخرين خلال النهار، بينما للنوم فقد علق داروين أرجوحة فوق الطاولة وعلى بُعد قدمين فقط من السقف.

بالإضافة الى أن السفينة حملت 22 ساعة دقيقة (كرونومتر) لضبط التوقيت العالمي وتحديد خطوط الطول بدقة قبل الإنطلاق بالرحلة.

شذرات من الرحلة

كان على ظهر السفينة ٧٤ شخصًا، منهم فيتزروي (Robert FitzRoy) والذي كان قائد السفينة، وكان ماهراً في الأرصاد الجوية ورسم الخرائط، وأغسطس إيرل (Augustus Earle) وكان فناناً ورساماً استأجره الكابتن روبرت فيتزروي لتوثيق الرحلة بصرياً، وحل محله لاحقاً الرسام كونراد مارتينز، و تشارلز داروين (Charles Darwin) والذي كان في الرحلة متطوعا وجليساً للكابتن فيتزروي، بالإضافة الى مبشر مسيحي اسمه ريتشارد ماثيوز (Richard Matthews) وخادم للسفينة يُدعى سيمس كوفينجتون (Syms Covington) والذي أصبح لاحقا المساعد الشخصي لداروين، وساعده في جمع العينات وحفظها، وثلاثة من سكان أرض النار (Fuegians) وهم (جيمي بوتن، فيوجيا باسكيت، ويورك منستر) والملازم ويكهام، وجراحاً، وبحارة محترفين، وعساكر من البحرية الملكية (Marines).

كان هدف رحلة البيجل التي انطلقت من البحرية الملكية، من ديفونبورت، تحت قيادة الكابتن روبرت فيتزروي "قبطان سفينة" هو استكمال مسح منطقة باتاجونيا وأرخبيل أرض النار (أو تيريا دل فويجو) ومسح سواحل تشيلي وبريوٍ، وبعض جزر المحيط الهادي، والتي بدأها القبطان فيليب جيدلي كينج (Captain Philip Gidley King) عامي ١٨٢٦ و١٨٣٠م لإجراء مجموعة من القياسات الكرونومترية حول العالم.

انطلقت الرحلة من ميناء بليموث بإنجلترا في ٢٧ ديسمبر ١٨٣١، أبحرت جنوبًا نحو الرأس الأخضر قبالة الساحل الغربي لأفريقيا، وصلت السفينة الى جزر تينريفي، لكنه لم ترسو على اليابسة خوفًا من الإصابة بالكوليرا، فشاهدوا شروق الشمس من وراء خط الأفق الجبلي لجزر الكناري الكبرى في صباح اليوم التالي، ثم انطلقت السفينة ورست في ميناء برايا، وتعرف فيها داروين على الاشجار "كالتمر، والموز، والنخيل".

ثم اتجهت الى أمريكا الجنوبية، حيث قضت السفينة معظم وقتها في مسح سواحل البرازيل، الأرجنتين، تشيلي، وبيرو، قبل الدوران حول كيب هورن، وهناك اكتشف داروين أحافير لحيوانات منقرضة ضخمة، وفي البرازيل تعرف هناك على الطيور والحيوانات، واختبر داروين الغابات المطيرة للمرة الأولى؛ وقام بجمع العينات وتقديم الملاحظات الميدانية الدقيقة، وفي الأرجنتين وجزر فوكلاند استطاع داروين الحصول على عدد لا يحصى من الحفريات، والبقايا، والاكتشافات الجيولوجية، وأيضا في الأرجنتين والأوروغواي، تعرف على حيوان توكسودون (Toxodon) وهو من أهم الاكتشافات التي عثر عليها داروين في أمريكا الجنوبية، وهي حفرية لحيوان منقرض، أم في تشيلي شهد زلزالاً عنيفاً .

ثم اتجهت السفينة نحو جزر غالاباغوس (Galápagos Islands) وهي المحطة الأهم علمياً؛ حيث لاحظ داروين اختلافات طفيفة بين العصافير والسلاحف والسحالي في كل جزيرة، والتي ساعدته على رؤية آثار التطور عن كثب، حيث ساعدت الاختلافات العديدة بين الحيوانات والنباتات على الجزر إثبات نظريته. وقد قضى فيها عدة اسابيع، والتي كانت بمثابة "المختبر الطبيعي" الذي تبلورت فيه نظرية داروين، وجزر غالاباغوس هي مجموعة جزر بركانية تابعة للإكوادور في المحيط الهادئ.

ومن جزيرة غالاباغوس، تحركت السفينة عبر المحيط الهادئ إلى سيدني- أستراليا، ومرت بتاهيتي، نيوزيلندا، وأستراليا، ثم عبرت إلى جزر كوكوس وموريشيوس قبل الانتقال إلى موريشيوس في المحيط الهندي ثم إلى كيب تاون بجنوب إفريقيا، ومن كيب تاون عبرت سفينة البيجل المحيط الأطلسي مرة أخرى، مرورًا بالساحل البرازيلي، ثم العودة مرة أخرى إلى إنجلترا.

تفاصيل الرحلة

علمنا آنفاً أن سفينة "إتش إم إس بيغل (HMS Beagle)" أبحرت من المملكة المتّحدة "بريطانيا" عبر المحيط الأطلسي، الى قارّة أمريكا الجنوبيّة "البرازيل"، ثم دارت حول "كيبهورن"، ثم " الأوروغواي"، ثم "الأرجنتين"، ثم جزيرة "فلي لاند"، ثم "الشيلي"، ثم جزر "غالاباغوس"، ثم "الاكوادور"، ثم عبرالمحيط الهادي الى استراليا، ثم عبرالمحيط الهندي، وعادت في نفس المسار، ولقد مكثت هذه الرحله 5 سنوات، من عام 1831 الى عام 1836، ولقد غيّرت هذه الرحلة المسار العلمي، بل المسار الديني أيضاً.

قام داروين برسم شجرة التطوّر، وكتب في أول المسودة التي كان يجمع فيها ملاحظاته "I think"، وهذا يدل على أنه لم يكن جازماً فيما قال في بداية صكّه للنظرية!

كان يمكث أياماً وأحياناً أسابيع وأحياناً أشهر في البلاد التي يمرّ بها، ويجمع العيّنات والحشرات ويدوّن الملاحظات، وكان مندهشاً من أشكال الحياة وأنواعها وأصنافها، حيث أنه شاهد وراقب أكثرمن 70 حشرة في منطقة واحدة، وهذا ما جعله في باكورة الأمر يؤمن بالتصميم الالهي في هذا الكون.

في أستراليا وجد بعض الحفريّات، التي كانت ذات هياكل ضخمة كحيوان الأرماديلو "Armadillo"، المعروف باسم "المدرع"، وهو منقرض ولكنه يشبه الأرماديلو صغير الحجم الموجود حالياً، وينتشر في الأمريكتين، الفرق بينهما في الحجم فقط.

كما وقد وجد أيضا هيكل كبير لحيوان الميجاثيرم "Megatherium"، أو "الكسلان العملاق"، ويسمى أيضا "البهضم أو الميغاتير"، وهو أيضا منقرض، ولكن يوجد منه حالياً في البرازيل، كولومبيا، كوستاريكا، والبيرو، ولكن بحجم صغير، وهو حيوان كسلان كريه الرّائحة، يعيش على الشجر.

داروين أخذ عظمتين من احدى الهياكل الكبيرة لحيوان الميجاثيرم المنقرض، وأرسلهما للبروفيسور "ريشارد أوين" في المتحف، وسميت العظمتين باسمه.

وهنا أنوّه أن البروفيسور وعالم التشريح والإحاثة الإنجليزي ريشارد أوين "Richard Owen" هو من اكتشف الديناصور، وأسماه بهذا الاسم عام ١٨٤٢، والإسم مشتق من اليونانية القديمة، ويتكون من مقطعين "دينوس (deinos)" وتعني "رهيب" أو "عظيم" بشكل مذهل، و"ساوروس (sauros)" وتعني "عظاية" أو "سحلية".

وفي الأرجنتين وجد طائرا يسمّى "ريا"، وهو أشبه بالنعامة، حيث لاحظ داروين في جنوب الأرجنتين أن طيور الريا صغيرة الحجم، وفي مناطق الشمال تكون كبيرة الحجم، وكل هذه الملاحظات كان يسجلها في مدونته.

في تشيلي صعد على مرتفعات تصل الى ٣٠٠ متر تقريبا في الإرتفاع، وجد طبقات تحتوي على أحافير تنتمي كل منها الى حقب زمنية معينة، ووجد "محار" في طبقات عليا على الجبل، وأخذ منها، وهذا جعله يتسائل عن هذا المحار الموجود في أعلى الجبل؟ فإمّا أن البحر كان مرتفعاً جدّا ثم انخفض منسوبه، وإمّا أن الأرض وهذه الطبقة ارتفعت، مما أدى إلى موت هذه الرخويات وتحولها إلى أحافير؟!

في إبان هذه اللحظة حدث زلزال، ورفع مناطق وطبقات من الأرض، وهذا -سبحان الله تعالى- ما فسّر وجود المحار في أعلى الجبال، فقال داروين : "ان الأمطار والأعاصير والزلازل والعوامل الطبيعية هي أحد المسببات"، ولاحظ أن ملامح الطبيعة تغيرت وتبدلت عبر ملايين السنين بفعل العوامل الطبيعية، ثم تسائل: "هل هذا يعني أنه بالإمكان أن الكائنات الحية أيضا قد طرأ عليها التغيير والتبديل بفعل عوامل الطبيعة عبر مرور الزمن؟".

في جزر غالاباغوس ((وهي مجموعة جزر تقع في المحيط الهادئ وتبعد 970 كم غربي الإكوادور، تتبعها جزر تسمى أرخبيل ديكولن ، وتتكون هذه الجزر من قمم بركانية، وتغطي مساحة تقدر بحوالي 7,844 كم ²، عُرفت تلك الجزر فيما مضى "بالجزر المسحورة"، حيث دفن القراصنة كنوزهم المسروقة هناك، وُيعد الناجون من السفن الغارقة تلك الجزر ملجأهم -أحياناً يُترك المتمردون فيها- كان يعيش في هذه الجزر 9,710 نسمة في عام 1990 م، إلا أن التقديرات تشير إلى أن هذا الرقم قد تضاعف منذ ذلك الوقت، ويزور جزر غالاباغوس نحو 60,000 سائح سنوياً، ويشار إليها دائما بأنها بيت البيئة الحديثة، "إذ انها المكان الذي ألهم العالم تشارلز داروين وضع نظرياته حول التطور والتكيف، وكانت المختبر ومحل دراسته"، كما

إنها الموقع المميز الذي يأتي إليه علماء البيئة من كل حدب وصوب ليدرسوا الخصائص البيئية الفريدة لهذا المكان، وتعيش في هذه الجزر الطيور والحيوانات الغريبة)) شاهد داروين سلاحف ضخمه تختلف أشكالها حسب الطبيعة، والجزر التي تعيش فيها، حيث أن السلاحف التي تعيش في المناطق الرطبة تكون رقبتها قصيرة، لأن العشب أمامها وسهل تناوله، أما التي تعيش في المناطق الجافة تكون رقبتها طويلة لكي تلتقط الأعشاب، وهذه السلحفاه العملاقة "Giant Tortoise" -سلحفاة غالاباغوس العملاقة- هي أكبرالسلاحف الحية في العالم، يصل وزنها إلى أكثرمن 230 كجم، ويمكنها أن تعيش إلى عمر يصل إلى 100 عام، مما يجعلها واحدة من أطول الفقاريات عمراً، ولا توجد الا في جزر غالاباغوس فقط.

وفي جزر غالاباغوس شاهد طيور البرقش "Darwin's Finches" -عصافير البرقش- والتي تتألف من 13 نوع، وتعيش على أشجار هذه الجزر، وقد ساهمت هذه الطيور بشكل كبير في دراسات داروين عندما كتب نظريته الشهيرة عن التطور والتكيف، إذ أنه إكتشف أن هذه الطيور تنحدر من أصل واحد، ولكنها تختلف في تركيب وشكل المناقير، حتى يتناسب مع نوعية الغذاء لكل نوع من هذه الطيور، فبعضها يأكل البذور، وبعضها يأكل الحشرات، ووجد أيضا طائر الحسّون ذات المنقار الصغير، والذي يأكل به الديدان، وأخرى ذات منقار كبير تكسر به الطعام وتأكل الحبوب، ووجد عصافير محاكية ومختلفة أيضا.

كما وشاهد حيوانات وطيور غريبة لا تعيش الّا في جزر غالاباغوس، منها:

الإغوانا البحرية "Amblyrhynchus cristatus ": أكثرالحيوانات العجيبة في جزر الغالاباغوس هي السحالي التي تدعى الإغوانا، وتتميز بأنها تستطيع السباحة والغوص والبقاء تحت الماء وتحمل البرد لحوالي نصف ساعة، ومن ثم تصعد على الصخور لتتدفى تحت أشعة الشمس، وتعتبر من السحالي الوحيدة التي تسطتيع أن تسبح في العالم، ويزيد طول كثير منها على المتر.

طيورالغاق "Phalacrocorax": جزر غالاباغوس هو المكان الوحيد الذي تعيش فيه طيور الغاق والتي لا تستطيع الطيران، فهي تمتلك أجنحة صيغرة، وأقدام ضخمة تساعدها على الغوص في الماء والتوازن على سطح الأرض، والتي تقوم أيضا بتنظيم درجة حرارة جسم الطائر، ولكن عدم قدرة طيور الغاق على الطيران جعلها عرضة للإفتراس من الكلاب والجرذان والخنازير.

بطريق غالاباغوس "Spheniscus mendiculus": هذه البطاريق هي واحدة من أصغر أنواع البطاريق في العالم، وهي أيضاً الوحيدة التي تعيش في شمال خط الإستواء .

طائر الأطيش أزرق القدمين "blue-footed booby": الأطيش أزرق القدمين هو طائر ينتمي لطيور الأطيش، وهي طيور بحرية، وسميت عادة ب"المغفلون"، لأنها طيور خرقاء، ولا تحسن المشي في اليابسة.

فقمة الفراء "Galapagos Fur Seal ": هذا النوع من الفقمات يعيش فقط في جزر غالاباغوس.

وتعيش في جزر غالاباغوس أيضاً بعض الأنواع الاخرى، مثل "طائر الحاكي" وهو نوع غير معروف في أماكن أخرى ، وطيور البلشون "مالك الحزين"، وسرطانات البحر القرمزية، التي تشبه الفصائل التي تعيش في المحيط الأطلسي.

ملاحظة: معظم الأحافير التي جمعها تشارلز داروين خلال رحلته الشهيرة على سفينة البيغل (HMS Beagle) موجودة باسمه "مجموعة داروين" في متحف التاريخ الطبيعي في لندن (Natural History Museum).

العودة من الرحلة

مرت السفينة برأس الرجاء الصالح في أفريقيا، ثم عادت لفترة وجيزة إلى البرازيل لتأكيد قياسات خطوط الطول، قبل أن ترسو أخيراً في فالماوث بإنجلترا في ٢ أكتوبر ١٨٣٦م.

حين عاد من رحلته عام ١٨٣٦م الى لندن، بقي فيها الى عام ١٨٣٩م، وتزوّج من "إيما" وأنجب عشرة أولاد مات منهم ثلاثة.

ولقد كان لإيما -زوجة داروين- موقف من فكر زوجها ونظريته، حيث أنها لم تؤمن بنظريات زوجها بشكل كامل، بل كانت تخشاها وتعارضها بشدة من منظور ديني، لأنها كانت مسيحية ومتدينة جداً، وكان أكبر مخاوفها أن تؤدي أفكار داروين الإلحادية الى الانفصال عنه، كما انها كانت تعتقد أنه لن يدخل الجنة بسبب شكوكه العلمية.

وجهت له رسائل عتاب شديدة، وحذرته أن التدقيق العلمي حول نظريته سيطمس الإيمان بالوحي الإلهي

لكنها قامت بمراجعة مسودات كتبه لغوياً، واعتنت به خلال فترات مرضه الطويلة، إلا أنها ظلت متمسكة بإيمانها حتى وفاتها.

أما بالنسبة لداروين فقد كان يكن احتراماً لمشاعرها ويخاف من جرح إيمانها.

كان عاطفي جدّا، ويراقب أطفاله بدقّة متناهية، وكان محباً للعلم ويمتلك صبراً لا حدود له، حيث أنّه مكث ٢٥ عاماً حتى وصل الى النظريّة.

ألف كتاباً في الجيولوجيا حول نظريّة (الحيود المرجانية) وأثبت النظريّة، وفي عام 1842م رحل من لندن الى منطقه ريفيه اسمها (down) ليتخلص من الضجيج والضوضاء والازعاج وبقي فيها حتّى مات.

كان يلتقي بعالم الجيولوجيا المعروف "تشارلز ليون" بكثرة، وهو صاحب النظريّة التنظيمية (التنميطيّة) حيث كان كتابه في الجيولوجيا مرشداً لداروين في الرّحلة، والذي قال فيه ليون أن العوامل الطبيعيّة على مر ملايين السنين غيّرت وجه الأرض والتضاريس بشكل منظّم، وهو ما أثبته في النظريّة التنظيميّة، حيث استلهم داروين هذا لكلام من ليون وقال: "قد يكون بالإمكان أن يجري على النباتات والحيوانات التغيير، وأن تتحوّل وتصبح شيء آخر على مر ملايين السنين".

في حياته اتصل بالعالم الكبير والمفكّر "توماس كارلاي" صاحب الكتاب المشهور (الأبطال وعبادة البطولة) والذي جعل فيه الشخصيّة الأولى والبطل هو (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم) مع العلم أنّه كافر ومستعمر وعنصري ومستعبد، ولقد أنكر فيه داروين هذا الأمر.

بدايات النظريّته

حيث انتهت الرحلة وعاد داروين الى انجلترا، كان قد أخذ معه بعض العينات لبريطانيا من أجل دراستها، وشرع بفحصها حتى أعوام عديدة، لاحظ داروين في رحلته أنه يوجد علاقة بين البيئه والجسم والأعضاء، ولاحظ أن السلاحف تختلف من جزرالى جزر أخرى، وهذه كانت أوّل بدايات نظريّته.

فوضع نشأة الأنواع وأصل الأنواع في مخطوطة مطولة "Essay" لخص فيها نظريته، لكنه لم ينشرها للعلن في ذلك الوقت.

في هذه المسودة السرية المكونة من ٢٣٠ صفحة، وبعد سنوات، صاغ داروين أفكاره حول الانتقاء الطبيعي عام ١٨٤٤، ولكنه تردد في نشرها لمدة 15 عاماً إضافية؛ خوفاً من ردة فعل المجتمع المتدين والعلماء المحافظين

"كالقبطان فيتزروي" وعائلته وغيرهم، ولرغبته في جمع أدلة أكثر قوة أيضاً، وفي عام ١٨٥٩ نشر نظريته.

والجدير بالذكر هو أن داوين ألف كتب كثيره منها: (يوميّات الأبحاث، ملاحظات طبيعية، الحيود المرجانية، حيوانيات رحلة البيجل، سيريبيديا "هدابيات الأقدام"، تلقيح الأوركيديا" السحلبيات" النباتات المتسلقة، تمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير التدجين "وهو جزئين "، تحدّر ونشوء الانسان، أصل الأنواع، التعبير عن العواطف، النباتات ملتهمة الحشرات، تأثيرات التلقيح المتبادل والذاتي في المملكة النباتية، الاشكال المختلف للزهور "وهو جزئين"، حياة عن جدّة " ارازميس"، القدرة على الحركة للنباتات، تكوين التربه النباتية أو العفن النباتي عن طريق الديدان، أصل الأنواع عبر الانتخاب الطبيعي، وهو الأشهر بين جميع كتبه ومؤلفاته).

الفصل الثالث

"مدخل في البيولوجيا"

عالم الوراثة والأحياء التطوري "ثيودوسيوس دوبجانسكي Theodosius Grigorievich Dobzhansky"، وهو من علماء العصر الحديث، كتب يقول: "بغير نظريّة التطور لا يوجد شيء في علم الأحياء يكون له منطق"، وجمعية AAAS تجمع وتؤيد كلها النظريّة، ويوجد تمثال لداروين في المتحف الوطني الأهلي الذي اسسه عالم المتحجرات والتشريح البريطاني (ريتشارد أوين) ويضم فيه 70 مليون عيّنة.

وكما ذكرت آنفاً أن داروين لم يقل أن أصل الانسان قرد، وانما الانسان والشامبانزي تفرّعوا من جد واحد، لأنّه يوجد شبه كبير في الجسم من الخارج، ويوجد شبه الى حد ما في الدّاخل أيضاً من حيث عدد الكروموسومات، ففي الانسان 46 كروموسوم، أما القرد 48 كروموسوم، بينما ذهب بعض علماء التطور إلى القول بأن أصل الانسان هو قرد، وحاولوا بشتّى الطرق اثبات ذلك.

والآن.. يجب أن نتطرق إلى بعض المصطلحات في علم الأحياء "البيولوجيا Biology" قبل الدّخول في النّظرية، وأهمها:

المفهوم الأول: "النّوع"، وهو مجموعة من بعضها تتكاثر وتنتج ذرية (macro evolution) وسنأخذ ثلاثة أمثلة لكي نفهم ما هو النّوع وما هو التطور. مثال: "حصان * حصان = حصان، وعدد كبيرمن الأحصنة، وهذا هو النّوع .

أيضا: الحمار * الفرس = بغل "الجحش"، لكنّه عاقر لا يتزاوج ولا يتكاثر، والسبب أن الحمار نوع، والفرس نوع آخر، والنتيجة كانت هي البغل، وهو نوع آخر.

مثال آخر: فراش مرقط * فراش مرقط = فراش لون داكن عبر مراحل زمنيّة طويلة -في بريطانيا- والسّبب أن البيئة داكنة والأشجار لونها داكن أيضاً.

المفهوم الثاني: "التطور"، وهو تغيّر في المستودع الجيني لعشيره.

المفهوم الثالث: "المستودع الجيني"، وهو تغيّر لنوع من القطط في الجينات، ولو أخذنا هذا المثال (١٠ قطط بيضاء * ٦ قطط سوداء = ٤ قطط سوداء + ١٠ قطط بيضاء).

بعد أن وضحنا هذه المفاهيم الثلاثة في البيولوجي، سنتحدث عن ما هي العوامل المؤثرة على المستودع الجيني:

- تقلّص عدد السّكان: يكون عن طريق الطّبيعة، مثال: "الأعاصير، الزلازل"
- التّزاوج: يحدث خلط في الجينات.
- الطّفرة: خطأ في الجينات.
- الحركة: الانسياب الجيني.
- الإنتخاب الطّبيعي: وهو أهم عامل في نظريّة التطوّر، وهو اختيارغيرعشوائي لصفات عشوائية، والتي هي الأربعة عوامل السّابقة.

ملاحظة حول النظرية: لا يوجد تطوّرعلى مستوى فردي، بل يكون التطورعلى مستوى جماعات، والتطوّر يعمل على النمط الجيني، وليس على الشكل الخارجي.

الإنتخاب الطبيعي

كما قلنا سابقا أن الإنتخاب الطبيعي أو "الإنتقاء الطبيعي أو الإصطفاء الطبيعي" هو عملية غير عشوائية، فيها يزداد أو يقل شيوع الحيوية في التجمع الأحيائي من جراء التكاثر التمايزي، وهي آلية أساسية للتطور، وأحد أسباب حدوث الإنتخاب هو الطفرات العشوائية التي تُحدث تغيرات في الجينوم الخاص بالكائنات الحية، وهذه الطفرات قد يتم توريثها للذرية، خلال حياة الكائنات الحية، حيث يتفاعل الجينوم الخاص بهم مع بيئتهم، وذلك يولد اختلافات بين السمات، يكون الأفراد الحاملون لصيغ معينة من السمات أقدر على النجاة والتكاثر من الأفراد الحاملين لصيغ أخرى من هذه السمات، ولذلك يتطور التجمع وتنتج كائنات جديدة.

وأحد المفاهيم عند بعض علماء الطبيعة والأحياء، هو عملية تحدث في الكون "الطبيعة"، وبواسطتها تبقى الكائنات الأكثر تكيفًا ًمع بيئاتها على قيد الحياة، وقد أُطلق على هذه العملية "البقاء للأصلح".

اعتقد داروين أن النباتات والحيوانات قد نشأت تدريجياً من أسلافها القليلة المشتركة بواسطة الإنتخاب الطبيعي، وهذا الإعتقاد مبني على أساس أن بعض الصغار تموت مبكرًا قبل الأوان، لأن هناك مصدرًا محدودًا من الغذاء والماء والضروريات الأخرى للحياة لجميع الكائنات، لذا تتنافس هذه الكائنات وتتصارع للحصول على ضروريات البقاء، كما تكافح أيضًا لدفع الأخطار التي تدمرها، ونتيجة لذلك تعيش

الأفراد ذات الصفات الملائمة للبقاء، ودفع الأخطار، بينما تموت الأفراد ذات الصفات الغير ملائمة، والغير قادرة على الحصول على ضروريات البقاء، أو دفع الأخطار، وقد اعتقد ـ داروين ـ أن جميع أنواع الكائنات قد استمرت بهذه الطريقة بعد حصول التناسل.

العالم ألفرد راسل ووليس (Alfred Russel Wallace) صاحب نظرية "الإنتخاب الطبيعي"، قال بأن الإنتخاب الطبيعي يفشل عن هذا الحجم الهائل من الدماغ، ونظريّة التطور تعتمد على هذا الإنتقاء، حيث أن داروين يقول بأن الإصطفاء الطبيعي يعمل بسلطة بعيدة عن الخالق -الله تعالى- بينما يرى العالم ووليس بأن الخالق -الله سبحانه- هو من يدير هذه العملية وبعناية.

وننوّه أن أغلب العلماء أنكروا على داروين "الإنتخاب الطبيعي"، لأنه لا يُرى بالعين، ويعمل تحت آجال تمتد إلى ملايين السنين لكي تراه وتختبره، ومنهم العالم توماس هنري هكسلي (Thomas Henry Huxley) المشهور بـ "بولدوغ داروين (Darwin's Bulldog) أي: "كلب داروين"، والذي كان له موقفاً نقدياً علمياً تجاه الإنتخاب الطبيعي هو الآخر، ولكنه لم ينكره.

لاحظ داروين أنه يوجد كل مصادر الحياة في موقع معين، ولكن لا يوجد أي حيوان يعيش فيه، فتسائل لماذا؟ وهذه المسألة جعلت داروين يقول بأن الطبيعة من فعلت ذلك، وليس الخالق.

كما ولاحظ أن المناخ في قارة افريقيا وامريكا اللاتينية مماثل، لكن الحيوانات مختلفة، فتسائل لماذا؟ ولاحظ أن الجزر المحيطة كهاواي تخلوا من البرمائيات، فتسائل أيضاً لماذا؟ وتسائل عن عضلة الأذن لماذا هي موجودة مع أنها لا تتحرّك؟ وتسائل عن الأعضاء الزّائدة المتليّفة في الكائنات الحيّة، وما الفائدة من وجودها؟

كل هذه التّساؤلات دفعته لكي يقول بأن الطبيعة هي المُسبب ومن فعلت، وليس الخالق أو الإله.

ولو ضربنا هذا المثال حول عصافيرالحسّون، وهي 13 نوعاً متجمّعة في منطقة معيّنة مليئة بالطّعام، سنجد أنها ستأكل منها، ثم ستتناسل، ثم ستتكاثر، حتى يتضخم عددها ويصبح الطعام قليل، بعد ذلك يدور صراع البقاء، لذلك وجد داروين أن هناك نوع من الحسون استطاع أن يأكل الديدان بفعل منقاره، لأنه فاز في معركة

البقاء وتكاثر، ثم أنتج نوعا من الحسون ذات منقار صغير يستطيع أن يأكل به الديدان، بمعنى أن شكل منقار الحسون تغير مع تغير عناصر البيئة.

وهكذا أيضا بالنسبة للحسون ذات المنقار العريض، وأنواع وأشكال الحسون الكثيرة، حيث تعيش كل جماعة من الحسون في البيئة التي تتكيّف معها، وهذا يسمّى في عصرنا الحديث ب"الطّفرة"، وهذا ما قاله داروين، أن البيئة والطبيعة تحث الحيوانات للتكيف معها من حيث المناخ والطعام.

ملاحظة: عالم النبات الهولندي هوغو ماري دافريس (Hugo de Vries) هو أوّل من اكتشف الطّفرة.

أمثله على الإنتخاب الطّبيعي:

أثبت علميّاً أن جميع أنواع الكلاب الحديثة تنحدر من سلف مشترك يعود إلى الذئاب الرمادية القديمة، وليس من الذئاب الحالية.

مثال آخر: عند الانسان العيون الزرقاء هي طفرة، لكنها جميلة.

الإنتخاب الصّناعي

الانتخاب الصناعي "التربية الانتقائية" هي عملية يختار بها الإنسان كائنات حية ذات سمات ظاهرية محددة لأغراض التكاثر، بمعنى أن الإنسان هو من يتدخل فيها بشكل مباشر لاختيار صفات مرغوبة في هذه الكائنات وتزويجها.

بمعنى، نباتات وحيوانات هجينة خلقها الله تعالى، وأوجدت عن طريق الإنسان بالحظائر الخاصّة (لم يخلقها الله خلق مباشر، بل خلقها بوسيلة الإنسان).

أمثلة على الإنتخاب الصّناعي:

حمار * فرس = بغل

حصان * أنثى الحمار = نغل

الجمل * لاما = كاما

النمر المخطط الهندي * اللّبؤة = أنثى أسد مخطط فاهي اللّون.

الأسد * أنثى النمر المخطط = لايجر، وهو أسد حين يقف يصل طوله إلى 10 أمتار

بالإضافة الى أن كل اللحوم التي تُباع اليوم هي نتاج تربية انتقائية للدجاج والأبقار والأغنام والخنازير، وحتى الفواكة والخضراوات تم استحداثها من خلال الانتخاب الاصطناعي.

عالم الطيور والحيونات النمساوي "كونراد لورنتس Konrad Lorenz" مؤسّس الإيثولوجيا الحديثة -وهي الدراسة العلمية لسلوك الحيوانات كفرع من علم الحيوان- الحاصل على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٧٣ لإكتشافاته المتعلقة بنمط السلوكات الفردية والإجتماعية للحيوان، في كتابه "الانسان يلتقي بالكلب" طرح فرضيّة أن الكلاب الأليفة منحدرة من الذّئاب والثّعالب قبل ١٠ الاف سنة -الذّئاب الأليفه وليس البريّة- واليوم يوجد أكثر من ١٥٠ نوع من الكلاب قام الإنسان بتدجينها بالانتخاب الصّناعي.

عالم الأحياء والسلوك الأمريكي "ريموند كوبنجر Raymond Coppinger" في كتابه "Dogs" يتحدّث حول تحوّل الكلاب الى ذئاب، حيث يوضح فيه أن الذّئاب البريّة لم تُدجّن بسبب مسافة الهروب، وإنما الحاصل هو أن بعض الذّئاب البريّة قلّصت مسافة الهروب عند الانسان، وأصبحت تأكل من قمامته، وفي جيل محدد منها وبعد عقود من السنين أصبح الذّئب يألف الانسان، ويربت عليه، والانسان أصبح يقترب منه ويُطعمه، ليصبح الذئب اعتماده في التغذية والرعاية على الانسان، وبعد ملايين السّنين أصبح كلباً.

أما عن عالم الوراثة والأحياء السوفييتي "ديمتري بيلياييف Dmitry Belyayev" فقام بتجربة حول هذه الجزئية، حيث أحضرثلاثة أنواع من الثّعالب، "ثعلب لا يستجيب للإنسان"، و"ثعلب يُقبل على الانسان ولا يستجيب له"، و"ثعلب يُقبل على الانسان ويستجيب له"، فتحوّل النوع الأخير بعد مضي السنين من ثغلب الى كلب، وعقّب ديمتري على ذلك قائلاً: "يمكن أنه قد حدث خطأ في جيناته".

الفصل الرابع

"إطار النظرية"

داروين وجد إطار النظريّة وبدأ بوضعها، وكان ذلك عن طريق كتاب بعنوان "مقال عن مبدأ السكان (An Essay on the Principle of Population)" لعالم الاقتصاد والسكان "توماس مالتوس" الذي تحدث فيه عن السّكان، والذي طرح فيه فكرة "الصراع من أجل البقاء"، حيث قال أن عدد السكان يزداد بمعدل هندسي (سريع) بينما تزداد الموارد الغذائية بمعدل حسابي (بطيء) وهذا يؤدي حتماً إلى مجاعات وحروب وأمراض تحد من الزيادة، ويبقى نوع واحد من الكائنات يتكاثر على الأرض بسبب حدوث صراع البقاء للأقوى للذي يتكّيف مع البيئه".

عندما قرأ داروين هذا الكتاب عام ١٨٣٨، اعتقد أن هذه القاعدة تنطبق على جميع الكائنات الحية، فالحيوانات والنباتات تنتج نسلاً أكثر بكثير مما يمكن للبيئة دعمه.

نظريّة التطوّر تقوم على 3 أعمدة

عالم الأحياء والفيلسوف الإنكليزي جوليان سوريل هكسلي " Julian Sorell Huxley"، صاحب الكتاب الشهير (علم الحياة Science of Life) قال بأن نظريّة التطوّر تقوم على 3 أعمدة:

- ملاحظة التّبيانات والإختلافات بين افراد النوع الواحد.

- إصراف الطّبيعة في التّكاثر (إصراف الكائنات في التّكاثر).

- الإنتخاب الطّبيعي.

والإنتخاب الطبيعي هو الآلية المركزية في نظرية التطور، حيث يرتبط إرتباطاً وثيقاً بـ "الصراع من أجل البقاء"، وهناك أنواع للصّراع من أجل البقاء "البقاء للأصلح":

- صراع بين أفراد النوع الواحد على الطّعام أو المنطقة.

- صراع بين أفراد الأنواع المحتلفة.

- صراع مع الطّبيعة.

عالم الطيور وسلوك الحيوان النمساوي "كونراد لورنتس Konrad Lorenz" اكتشف من خلال مشاهداته للسمك في حوض ما، أن كل سمكة تتخذ لنفسها مكاناً تقيم فيه، ولا تسمح لأي سمكة أخرى بالاقتراب منه، وتبين له أن هناك منطقة لكل سمكة، ولها حدود غير مرئية، خارج تلك الحدود يمكن للأسماك الأخرى العيش، ولكن إذا اقتربت إحدى السمكات من حدود منطقة السمكة المعنية فإنها تطاردها

بعنف على الفور وتجبرها على الفرار، في ذات الوقت يتضح للسمكة الغريبة أن تلك هي حدود منطقة السمكة المعنية، وتعلم تلك السمكة الغريبة أنه ليس من حقها دخول المنطقة، لذلك تسارع بالفرار إذا هاجمتها السمكة صاحبة المنطقة.

كذلك من مشاهدات العالم كونراد لورينس أن الحيوانات المتصارعة والتي تكون من جنس واحد، لا تستمر في الصراع حتى يقتل القوي الضعيف، وإنما من طبيعة الحيوان أن الحيوان الضعيف ينسحب تلقائيّاً من الصراع عندما يشعر بأن الآخر أقوى منه، في الوقت نفسه يكتفي الحيوان القوي بانسحاب الضعيف من جنسه، ويكف عن مصارعته ولا يقتله، وهذا بعكس النوع الإنساني الذي يقتل عدوه ويجهز عليه أثناء الصراع على الرغم من تسليم الضعيف له.

لو أخنا هذا المثال حول البقاء للأصلح لكي يتضح المُراد: (إنسان كافر وآخر مسلم في قارب ما في عرض البحر، غرق هذا القارب بفعل الأمواج العالية، تُرى من الذي سينجو؟ الإجابه الصّحيحة: "الشخص الذي يعرف السّباحة"، بصرف النظر عمّا إذا كان مسلماً أو مسيحيّاً أو كافراً وملحداً، الّا اذا تدخلت يد الله سبحانه وحدثت معجزه الهيّة).

الآن، رأى داروين في رحلته أن الحمار الوحشي يعيش فقط في استراليا، إلى جانب الكنغر الذي يعيش هو الآخر في استراليا فقط، وأن طائر الطوقان يعيش في أمريكا الوسطى والجنوبية فقط، وهذا التوزيع الجغرافي للحيوانات هو الذي دفع داروين ليفكّر في نظريّة التطوّر، إضافة إلى كون الثديّات مختلفة، فهناك ثديّات مشيميّة، وأخرى جيبيّة كالكنجر، وثديّ يبيض لكنه يرضع كمنقارالبط، وثديي يطير كالخفاش.

في هذه الأثناء كان عالم الأحياء والتشريح الشّهير السير "ريتشارد أوين Sir Richard Owen" يتفاوض مع طبيب ألماني يدعى "كارل هابرلاين"، لشراء أحفورة كانت لديه مقابل 700 جنيه إسترليني، ولقد اشترى هذه الأحفورة فعلاً، وهي لطائر منقرض اسمه "أركيوبتركس Archaeopteryx"، كان له أقدام وأجنحه، وفي طرف أجنحته مخالب، وليس له منقار، وله فم، وداخل فمه فك وأسنان، وله ذيل، وسلسله عظميّة تسنده، كان طائراً عجيباً بمعنى الكلمة! حيث أجمع العلماء حينها أن هذا الطّائر هو الحلقة المفقودة لحدوث التطور، وأنه هو حلقة الوصل التطوّريّة بين الزواحف والطيور.

ملاحظة: مفهوم الظّاهرة النيوتينيّة تتحدث على أن شكل الإنسان وهو صغير، هو نفسه وهو كبير، أمّا شكل القرد وهو صغير، يختلف عنه وهو كبير، ويقول داروين

في هذه الجزئية أن الجنين هو في أقل حاله معدّلة له، وحين جرى التّعديل والتطوّر تحوّل الى انسان، ويؤمن داروين بأن كل الكائنات الحيّة جائت من خليّة بدائيّة واحدة.

ملاحظة ٢: المهندس الأوسكتلندي الشهير "ويليام طومسون" المشهور باللّورد كلفن -مؤسس الفيزياء الحديثة، ولقد أُطلق اسمه على وحدة قياس درجة الحرارة المعادلة لدرجة مئوي وهي "الكلفن"- قام بحساب عمر الأرض وصولا إلى زماننا فوجدها لا تتعدّى 100 مليون سنة، وهذا يزلزل داروين ونظريّة التطوّر -كنظرية وليست كفكرة- فداروين يقول أن النظرية في الكائنات الحية تمّت بتسلسل زمني طويل جدّا لا يُرى بالعين المجردة، وهذا غير صحيح بالنّسبة لكلفن، لأن مئات الملايين من الحيوانات تم انقراضها والتطور منها، فعلى الأرجح أن يكون هذا عن طريق الطّفرة، ولكن أثبت العلماء حاليّاً أن عمر كوكب الأرض هو 5000 مليون سنة تقريبا -٥ مليار سنة- وعمر الحياة على الأرض 4000 مليون سنة -٤ مليار سنة- تقريباً، وهذا ما أثبت صحّة نظرية داروين من وجهة نظر العلماء المؤمنون بالتطور.

الإنسان وأصل الأنواع

ماذا ورد عن الإنسان في كتاب أصل الأنواع لداروين؟

لم يرد شيئاً إلاّ جملة واحدة وهي: "سنلقي نظرة على تطوّر الإنسان"، وهي في آخر كتابه.

أما كلب داروين -عالم الأحياء التطوري "توماس هنري هاكسلي"- فقد قال بأن الإنسان انحدر من كائنات أقل منه، وأنّه هو والقرود أبناء عمومة من جد واحد، وتحدّث عن ذلك بإسهاب في كتابه "أصل الإنسان في الطّبيعة".

علم الوراثة والتطور

الراهب وعالم النبات النمساوي "غريغور يوهان مندل Gregor Johann Mendel" -أبو علم الوراثة ومؤسّسها- أجرى الكثير من التجارب، واكتشف القوانين الأساسية للوراثة، حيث أدت تجاربه في تكاثر نبات البازلاء إلى تطور علم الوراثة، وكانت تجاربه هي الأساس الذي شُيّد عليه علم الوراثة، والذي يشهد تقدماً في عالم النبات اليوم، كان قد قرأ كتاب أصل الأنواع لتشارلز داروين، وقام بعمل تجربه على نبتة البازلاء، ولماذا اختار هذه النبتة تحديداً؟ لأنها متواجدة في كل العالم.

قضى ثمانية سنوات وهو يُجري تجارب عليها في مسألة توريث سبعة صفات، "طول الساق، لون الزهرة، لون البذرة، شكل البذرة، لون القرن، شكل القرن، موقع الزهرة"، حيث أنه بدأ بتهجين نبتتي بازلاء أصيلتين لتخرج النتيجة على النحو التالي:

مجعّدة أصيلة * ملساء مدوّرة = كلّها ملساء مدوّرة (الجيل الأول)

ملساء مدوّرة * ملساء مدوّرة = ٣ملساء مدوّرة + ١مجعّدة (الجيل الثاني)

ثم بدأ يلخّص قوانين الوراثة بعد التجربة، وهي كالآتي:

- توريث الصفات يتم عن طريق عوامل وراثيّة تسمّى حاليّاً "الجينات".
- كل صفة من الصّفات الوراثيّة يتحكّم فيها عاملان "جينان".
- وضع القوانين "قوانين مندل" وهي: "قانون الإنعزال، قانون التوزيع الحر الجيني، الصّفات السّائدة والمتنحيّة".

وهنا كان دور لعالم النّبات الهولندي الشّهير "هوغو دي فريس Hugo de Vries" وهو أحد مؤسسي علم الوراثة الحديث، والذي قام في تسعينيات القرن التاسع عشر بإعادة اكتشاف قوانين مندل للوراثة، ووضع نظرية "الطفرة" لتفسير التطور، حيث كان مفتوناً بها.

لاحظ من تجارب تهجين النّبات -بالنسبه للوراثة- بأن الجينات اختلفت، وظهر نوع جديد ثابت اسماه "الطفرة"، حيث قال إن الجينات التي تحمل الصفات الوراثية هي التي تعطي الوراثة وليس الطّبيعة، وهذا ما قاله عالم الأحياء والأكاديمي الفرنسي "جان باتيست لامارك" في النظريّة أيضاً، والذي كان مؤيّداً لفكرة التطور البيولوجي وفقاً لقوانين الطبيعة.

ملاحظة: العالم البريطاني جون هولدين .(J.B.S. Haldane) مؤسس علم وراثيات العشائر، اكتشف أن العوامل الخارجيّة ليست هي المسؤولة عن الطّفرة، وإنّما تحث الجينات المسؤولة عن الطّفرة لكي تعمل.

علماء الأحياء المفتونون بالتطور يعتقدون أن البيئة تستحث الجينات في داخل الجسم المسؤولة عن حدوث الطفرة "الصفات الوراثية" كالاشعاعات، الفيروسات، وغيرها.

ملاحظة: مفهوم الخطة الوراثية يعني الجينوم داخله الكروموسوم، والكرومسوم داخله الجينات، كالانسان مثلا، داخله ٤٦ كروموسوم.

عالم الأحياء التطوري الألماني "أوغست فايسمان" -من مؤسسي الداروينية الجديدة وأحد أبرز منظريها- هو من أوجد نسخة معدّلة عنها استمرّت الى يومنا هذا، والذي اقترح نظرية البلازما الجرثومية "Germ Plasm Theory" فقال: (سنحتاج الى "الطّفرة، وقوانين الوراثة، والإنتخاب الطبيعي، وأفكار فايسمان" لنخرج بالداروينيّة الجديدة "New Darwin"، وهي تسمّى الآن الإصطناع التطوري الحديث "التركيبية التطورية المعاصرة" Modern Evolution Synthesis والتي تسمّى بالنّظريّة التّركيبيّة.

مبادئ النظرية التركيبية التطوريّة

١- الطّفرة: تكون صغيرة على المستوى الجيني، أو كبيرة على مستوى الكروموسومات.
٢- الإنتخاب الطّبيعي: تعزيز وإبقاء الصّفات الجيّدة " البقاء الأصلح ".
٣- الإنعزال: وهو نوعان، الأول "انعزال جغرافي"، حيث ينتج لنا أكثر من موطن يتكاثر مع آخرين لينتج نوع جديد، والثاني "انعزال تكاثري"، لا يتكاثرون مع بعضهم لأسباب، وينتجون نوعاً جديد.
٤- الظّاهرة النيوتينيّة: أن الانسان يبقى شكله كما هو من الصغر حتى الكبر، لكن الحيوان يتغير.
٥- يوجد كائنات حيّة تتطوّر بسرعة، وكائنات أخرى تتطوّر ببطئ، فهي لا تسير بوتيرة واحدة.
٦- في التطوّر اذا حدث الإنتواع يكون بسرعة وبعد التحوّل يعود ببطئ.
٧- ليس بالضرورة أن يكون التطوّر من أرقى وأفضل الكائنات، يمكن أن يحدث من أبسطها وأقلّها.
٨- ليس بالضرورة أن يكون التطوّر مُتّجها الى الأكثر تعقيداً وتطويراً، يمكن أن يكون تدهوريّاً والى الأدنى.
٩- في التطوّر يمكن أن يتغيّر شكل المتطور عندما يكبر الى شيء آخر.

مفهوم التطور

التطوّر: هو التغيّر في التردّد الجيني في المستودع الجيني، كما أن أحد مفاهيم التطور أنه يعمل على المستوى الجيني وعلى الجماعة، وليس على الشّكل الخارجي وعلى الافراد.

أنواع التطوّر

١- التطوّر الصّغير "Micro evolution"، وهو تكيّفات تطرئ على النّوع نفسه، ويستخدمه أصحاب الأديان.
٢- التطوّر الأكبر"Macro evolution" الإنتواع، وفيه يتحوّل النوّع الى نوع آخر "مخلوق جديد"، ويستخدمه الملحدين.

التطوّر الصّغير"Micro evolution":

الإنتخاب الطبيعي يعمل في زمانيّة طويلة لا تلاحظ بالعين، وانّما جيلاً بعد جيل، كالسّحالي أكلة الدّود واللّحميّات، حيت وجدوا أن تركيبة جسمها معدّة لأكل اللّحميّات، وبعد ٣٧ عاماً وجدوا أن تركيبة جسمها قد اختلفت لتعتمد على أكل العشب بعد أن تم حبسها واجبارها على أكله، فكانت أمام خيارين، إمّا أن تتكيّف أو تنقرض.

التطوّر الأكبر"Macro evolution" الإنتواع:

تحوّل الكائن الى كائن آخر ومخلوق جديد كلّياً، وذلك لا يلاحظ بالعين المجرّدة، ويتم عبر ملايين السّنين.

تجربة على البكتيريا القولونيّة أختبرت فيها صدقية التطور

أجريت تجربة على البكتيريا القولونيّة التي تعيش على القولون، ويصل تعدادها في جسم الانسان بنسبة 10^9، ودورة الجيل لهذه البكتيريا هي "٤" ساعات في اليوم، بمعنى أنها تعيش ٦ أجيال في اليوم، وخلال ٢٠ عاماً سيكون لدينا ٤٥ ألف جيل نستطيع من خلالها اثبات التطوّر بحيث نضغط الزّمان بهذة التجربة.

قام عالم الأحياء الأمريكي التطوري "ريتشارد لينسكي Richard Lenski" ((والذي أشتهر بتجربة تطور الإشريكية القولونية طويلة الأمد، والتي استمرت حتى

٢٥ عاماً، كما أشتهر أيضاً بعمله المتعلق بالكائنات الرقمية بإستخدام برنامج المحاكاة أفيدا)) قام بإحضار ١٢ قارورة، وملئها بحساء الجلوكوز المغّذي للبكتيريا، ووضع في كل قارورة كميّة متساوية محدّدة من نفس النّوع والجين بفارق بسيط جدّا، وهو عامل ملوّن ليميّزها.

تغذّت هذه البكتيريا وتكاثرت حتى نفاذ الغذاء بالشكل التالي:

١- ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .
٢ - ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .
. ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .
. ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .
١١- ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .
١٢- ٧٠٠٠ قارورة - يعني ٢٠ سنه .

ثم أخذ عيّنة من آخر نسل وغذّاها للّتي بعدها، وبعد ٢٠٠٠ جيل أخذ عيّنات من العشائر وجمّدها بحيث لا تتكاثر ولا تموت، فوجد أن كل ١٢ قارورة طوّرت نفسها بطريقة التّغذية "الطّفرة أصابت ٥٩ جين"، بعد الجيل ٣٣١٠٠ لاحظ في بعض القوارير -واحدة منها تحديداً- أنه وقت الإعتام حدثت لها طفرة، مكنتّها من أن تتعامل مع السّترات على أنّها مادّة تتغذّى عليها بالإضافة الى الجلوكوز، وتكيّفت، وهذه الطّفرة حدثت عشوائيّاً، وفي هذه اللّحظة تحديداً، وبدون سبب.

الخلاصة: تجاوزت التجربة 80,000جيل بحلول عام ٢٠٢٥، وأظهرت أن البكتيريا أصبحت تنمو أسرع بنسبة ٧٠٪ من السلالة الأصلية، بل وطورت إحدى المجموعات القدرة على استهلاك "السترات" كمصدر للطاقة، وهو أمر غير معتاد في هذه البكتيريا.

واعتبرت تجربة ريتشارد لينسكي للتطور طويل الأمد(LTEE) التي انطلقت عام ١٩٨٨ ولا تزال مستمرة حتى اليوم، أقوى دليل تجريبي مباشر على آليات التطور باستخدام البكتيريا القولونية.

لكن في النهاية بقيت البكتيريا هي البكتيريا، ولم تطور لكائن آخر!!

النظرية

كيف حدث التطوّر؟ ومن أي مخلوقات جاء التطوّر حسب وجهة نظر علماء وأنصار ودعاة التطور؟

قبل ٣,٥ مليار سنة، نشأت أوّل الكائنات الحيّة "بكتيريا"، وبقيت تسكن الأرض وحدها قرابة ٢ مليار سنة، ثم بدأ ظهور "حقيقيّات النّواة"، وهي أيضا كائنات وحيدة الجينوم "لها كروموسومات وجينات داخل النّواة".

وقبل ٦٠٠ مليون سنة نشأت سلسلة من الكائنات البسيطة عديدة الخلايا، كالديدان وقناديل البحر والإسفنج، ثمّ بدأت بالإنتواع -ظهور أنواع جديدة- فبدأ ظهور النّباتات الأرضيّة، ثم الأسماك، ثم البرمائيّات، ثم كائنات رباعيّة الأطراف ولحميّة الزّعانف.

وقبل ١٥ مليون سنة نشأ أوّل برمائي، وبعده بمليون سنة نشأ أولّ الزّواحف، وبعده ب ٢٥٠ مليون سنة نشأ أوّل الثديّات، وبعده ب ٢٠٠ مليون سنة نشأ أوّل الطّيور.

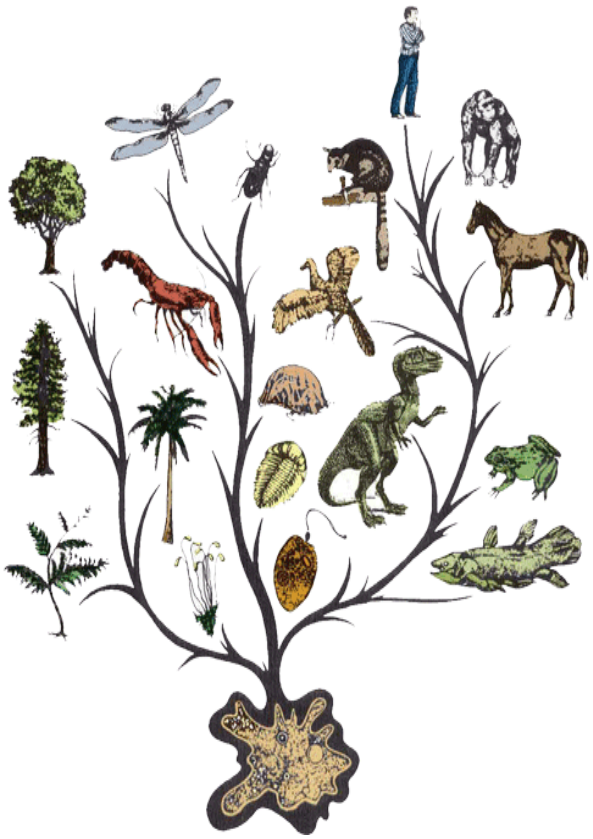

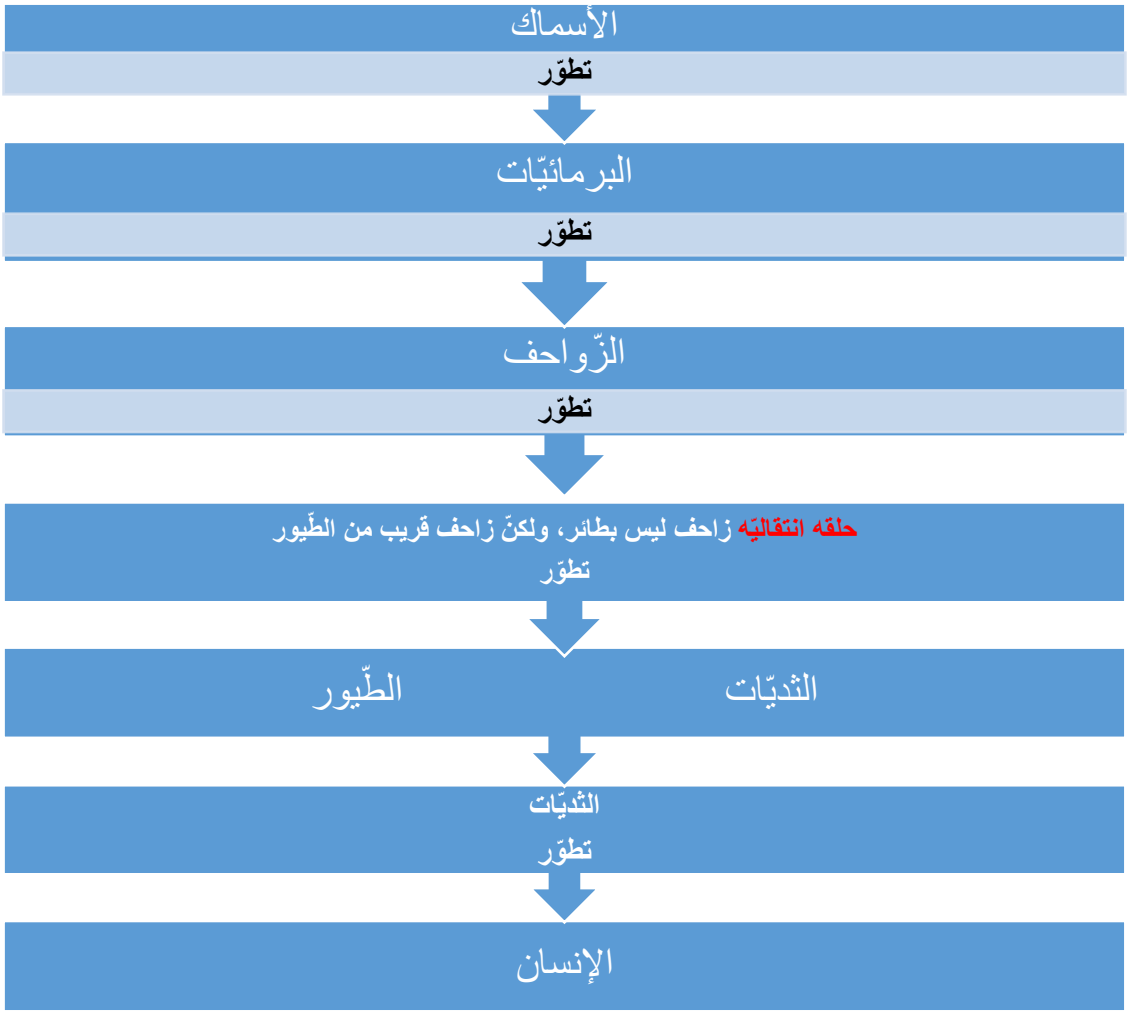

وهذا حدث قبل ٣٦٠ مليون سنة، وهو افتراض في السّجل الأحفوري.

يقول العلماء أن الدليل على وجود التطوّر هو أنّه لا يوجد أحفورة واحدة لأرنب مثلاً في عصور زمنيّة سابقة ليست من عصره، ولو كان ذلك لبطلت النظريّة، في المقابل يستحيل أن ترى أي أحفورة لأي كائن يعيش في الزمان الحالي قبل ملايين السنين.

ويردف العلماء أيضا أن الجنين -الإنسان- يشبه السمكة، وهو في الأسابيع الأولى من التكون داخل رحم الأم، حيث أن السمكة يكون البيض بجانب القلب، والجنين كذلك.

تفسير نشأة المخلوقات على الأرض من وجهة نظر داروين

قام داروين بتفسير نشأة المخلوقات على الأرض، وكيف تطوّرت الى أن وصلت الى ماهيتها الحاليّة، حيث أشار داروين الى المفاهيم التّالية في نظريّته:

الحمض الأميني: والذي تكوّن باتحاد بعض العناصر، وهي الكربون والهيدروجين والأكسجين والنيتروجين.

الجزيء البروتيني: وهو تجمّع مجموعة من الأحماض الأمينيّة "Amino acide" مع عوامل البيئة والمناخ المختلف، والتي كوّنت الجزيء البروتيني.

الخليّة: تكوّنت بفعل امتزاج جزيئات من البروتين مع عوامل بيئيّة أخرى، متمثّلة في الأمطار والحرارة وغيرها.

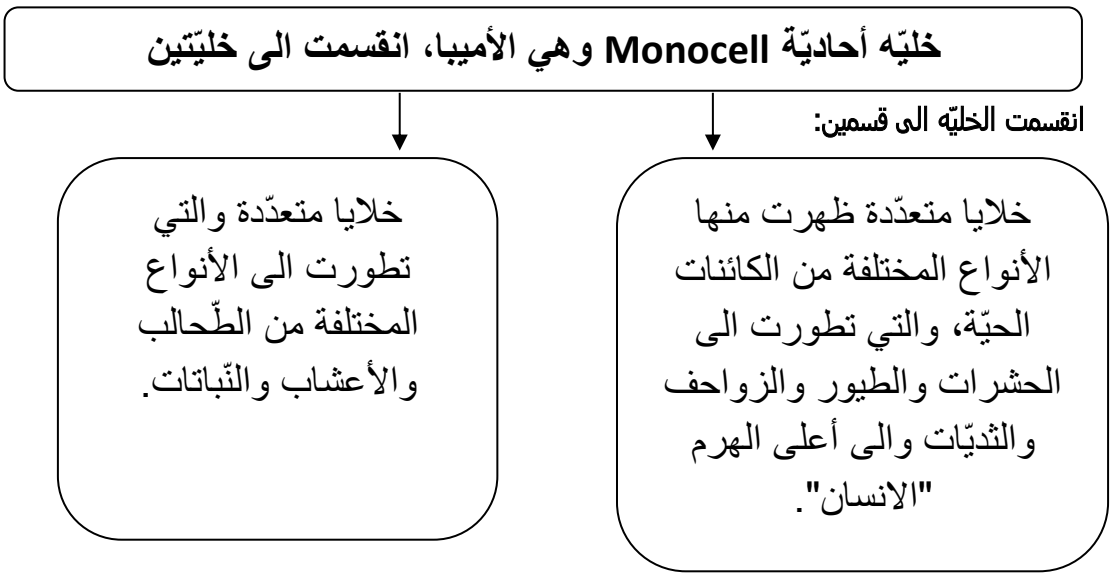

صفحه رقم ٣٦ من كتابه أصل الأنواع يرسم شجرة التطوّر يبدأها بكلمة "I think"

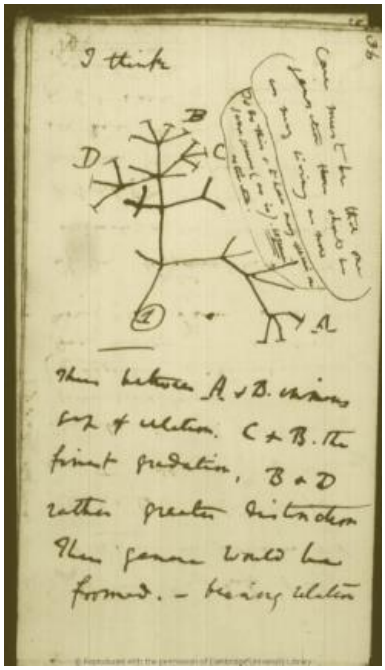

في منتصف شهر يوليو عام ١٨٣٧، داروين ابتدأ مذكراته "بي" التي تطرق فيها لتظافر الأنواع، وفي الصفحة ٣٦ كتب "أنا أعتقد" فوق شجرته التطورية الأولى.

ما هو التّشاكل

يشير مفهوم التشاكل الى المخطط العام الذي يفرض طابعه في الأنواع المختلفة التي تتشاركه، كيد الإنسان التي تشبه يد الخفّاش، ولأنّها من الثديّات، ولكنّ هذا التماثل في اليدين بين الإنسان والخفاش لا يؤدّي نفس الوظيفة، بينما جناح الخفّاش والحمامة لا يوجد تشابه بينهما، ولكنهما يؤديان نفس الوظيفة.

أيضا، عظام جمجمة الانسان تصل الى ٢٨ عظمة، واحدة منها متحرّكة، وهي "الفك"، وهي متماثلة تماماً مع عظام الثديّات وتشبهها، حيث لا يتحرك فيها الا عظم الفك.

بعض الحيوانات التي يستشهد بها المتطوّرون والداروينيون

يقول علماء التطوّر أن الحوت هو الحيوان الثدي الوحيد الذي يعيش في البحر، واكتشف العلماء أن الحوت يوجد في أطرافه عظام، مما يدل على انه كائن ذو أربعة أقدام، بمعنى أنه كان يعيش على اليابسة، ثم تطوّر وأصبح يعيش في البحار والمحيطات، وأقرب الحيوانات جينيّاً للحوت هو فرس البحر، وهذا يعني أن لهما جد واحد، بالإضافة إلى الدلافين وخنزير البحر.

ويعتقد علماء التطور أن الخفّاش هو الحيوان الثّدي الوحيد الطّائر، ولا يوجد له ريش، لكن يوجد له يد وجلد، ويلد ويرضع، وهذا يدل على أنه ليس منحدر من الطّيور، بل من الثدييات، لذلك يعتقدون أن جدّه كان ثدي.

كما يعتقدون التماثل في حيوان الهتسن -وهو طائر يوجد آخر جناحه مخالب- وآكل النمل -وهو حيوان ثدي ويبيض- وهو يتواجد في أمريكا الجنوبية.

وأيضا، الحيوان العجيب "منقار البط "، وهو زاحف، وليس بزاحف، يشبه الطّير وهو ثدي وليس بثدي، ولكن صنّف أخيراً بالثّدي، يبيض ويرضع، له منقار لحمي كالبطّة، وفيه فتحتان أنف، الطرفين الأماميّين يتواجد بهما خمسة أصابع، وبينهما غشاء كالبطّة، وتستخدم في الوظيفة كالزّعانف، أما اقدامه فيتواجد في آخرهما مخالب فيه سُم، وله فرو وليس له ريش، يتناسل تحت الماء، ويفقس بيضه فوق اليابسة، اذا دخل الماء يغلق أذنيه وأعينه والمنخرين، ويرسل منقاره نبضات كهربائيّة يحدّد به موقع الطّريدة "غذائه"، وتقريباً ليس له معدة، مجرّد انتفاخ بسيط موصول بالمريء.

أما بالنسبة للأحافير، فقد كانت حفريّة "داروينيوس ماسيلاي Darwinius masillae" المعروفة باسم "إيدا Ida" هي الكنز.

تم اكتشافها عام ١٩٣٨م جنوب شرق فرانك فورت، وأعلن عنها عام ٢٠٠٩م بعد اجراء تجارب عديدة.

حفريّة إيدا كاملة بنسبة ٩٥٪ ما عدا ساق واحدة مفقودة، لها ابهامين، وأسنان، وذيل بفقراته، وتنتهي أصابعها بأظافر، وهي أنثى -كائن ثدي حبلي- وهي نباتيّة، وعمرها ٤٥ مليون سنة، طولها ٥٨ سم.

اتضح أنها ماتت قبل أن تكمل عاماً من عمرها، ويعتقد العلماء أن "إيدا" عاشت في العصر الأيوسيني، وهي الفترة التي بدأت فيها الحياة على الأرض تأخذ شكلها الحالي بعد انقراض الديناصورات، وبدأت الثدييات وقتها تدخل الغابات.

بعد دراسات علمية وتحليلات طويلة، اتفق العلماء على أن الحفرية مهمة جداً، وتبين المرحلة الأولى من مراحل تطور الرئيسيات، و بالتالى يمكن أن تساعد على وجود الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان فى سلسلة تطور الانسان، حسب ما قال أنصار التطور في الداروينية.

حيث تبين وجود تشابه بين الثدية "إيدا" والبشر من أكثر من جانب، كعظم المفصل عند الكاحل، والأصابع، والأظافر، ويقول الباحث في الحفريات النرويجى "يورن هوروم Jørn Hurum" -رئيس فريق البحث الذي درس حفرية "إيدا" لمدّة عامين- أن الجد المباشر للإنسان كان شكله هكذا!

سمّيت الحفرية باسم "إيدا" نسبة لإسم إبنة العالم يورن هوروم، بينما أطلق عليها العلماء اسم "داروين يوس ماسيلاي" تكريماً للعالم تشارلز داروين.

تحدّر الإنسان لدى علماء التطوّر

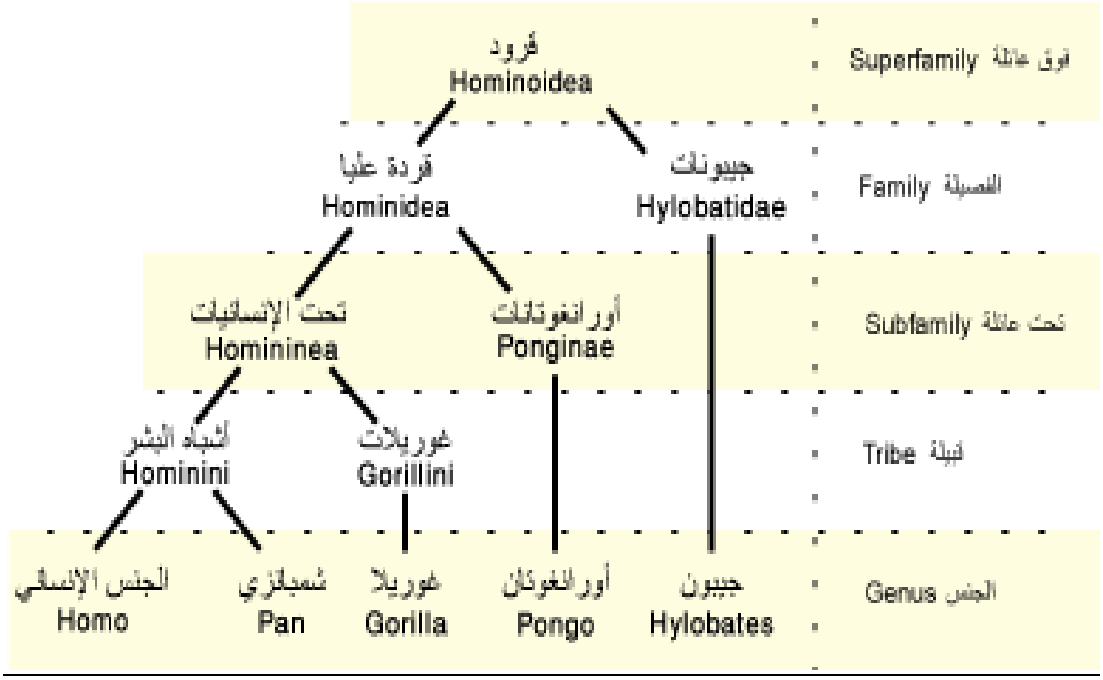

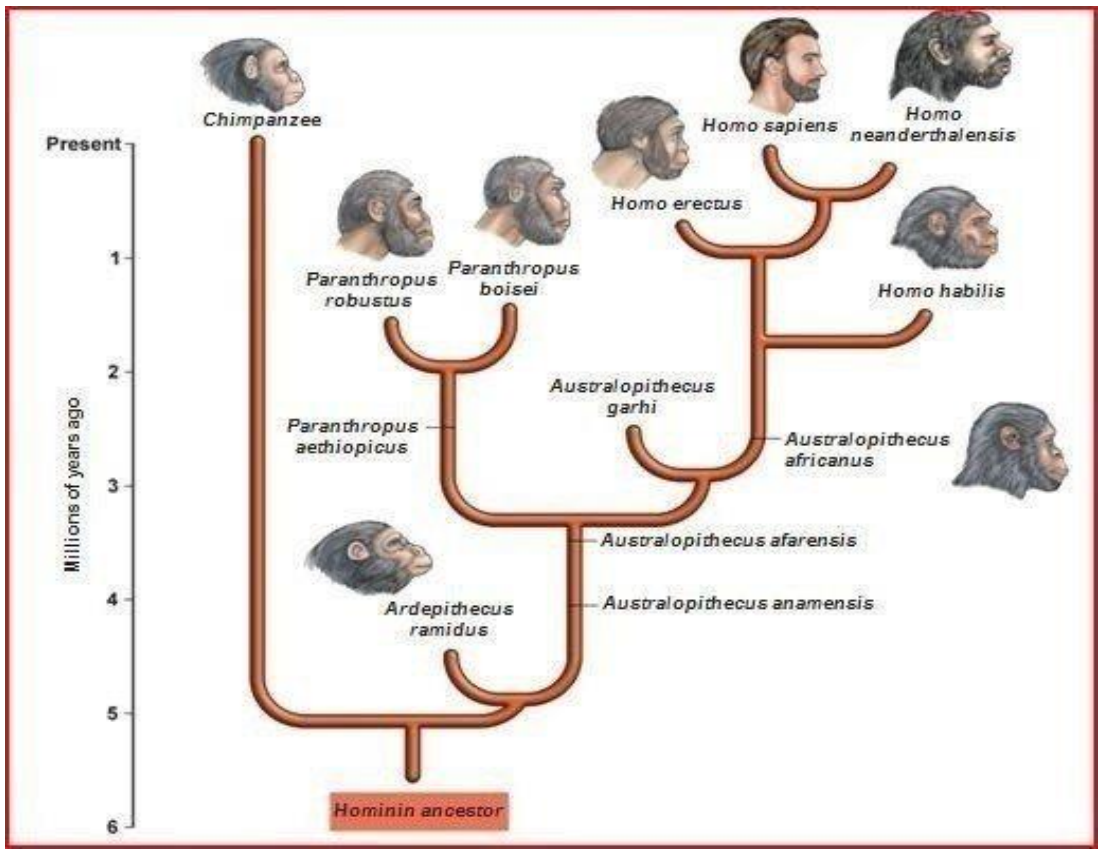

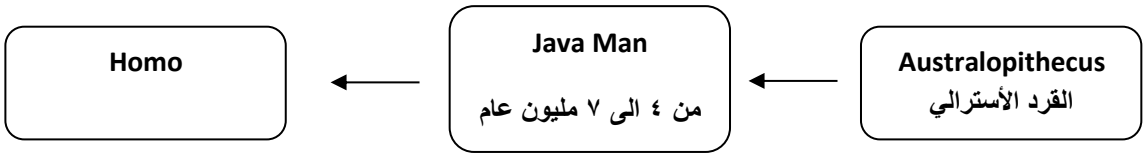

بشر وليسوا انسان يمشون منتصبي القامه :

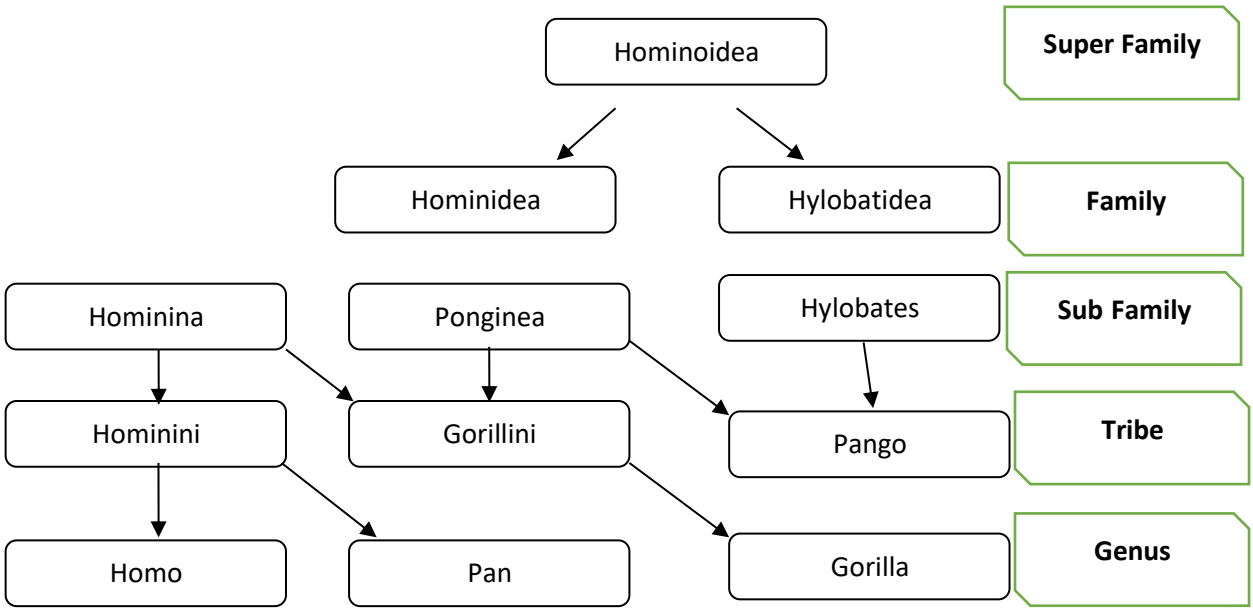

Ardipithecus Ramidus

هي حفريّة عُثر عليها في منطقة "أواش الوسطى" في إثيوبيا، تعود إلى حوالي ٤,٤ مليون سنة، مما يجعلها أقدم بكثير من الحفرية الشهيرة "لوسي" التي عاشت قبل ٣,٢ مليون سنة، وتعتبر واحدة من أهم الاكتشافات في علم الأنثروبولوجيا، لأنها قلبت الكثير من المفاهيم حول كيفية تطور البشر الأوائل.

هي أنثى يبلغ طولها نحو ١٢٠ سم ووزنها حوالي ٥٠ كجم، ما يميزها هو اكتمال هيكلها العظمي (الجمجمة، الأسنان، الحوض، اليدين، والقدمين)، مما سمح للعلماء بفهم طريقة حياتها بدقة، أثبت شكل الحوض أنها كانت قادرة على المشي بانتظام على قدمين(Bipedalism) ، لكن قدمها كانت تحتوي على إبهام قدم متباعد (مثل القردة) يساعدها على تسلق الأشجار، لا تشبه الشمبانزي الحالي. هذا يعني أن البشر والشمبانزي تطوروا بشكل مستقل عن سلف مشترك لا يشبه أي منهما تماماً، وأن أسلافنا لم يمروا بالضرورة بمرحلة المشي على "مفاصل الأصابع"، واعتبر علماء التطور أن "أردي" هي الحلقة التي كشفت أن أسلافنا الأوائل كانوا يجمعون

بين القدرة على المشي على الأرض ببراعة وتسلق الأشجار بكفاءة، قبل وقت طويل من ظهور "لوسي".

التطور يقول باختصار في جزئية انحدار الإنسان أن ال Homo وال Australopithecus جاؤوا من سلف المشترك، وهذا يعني أن الإنسان والحيوان جاؤوا من جد واحد (Common Ancestor).

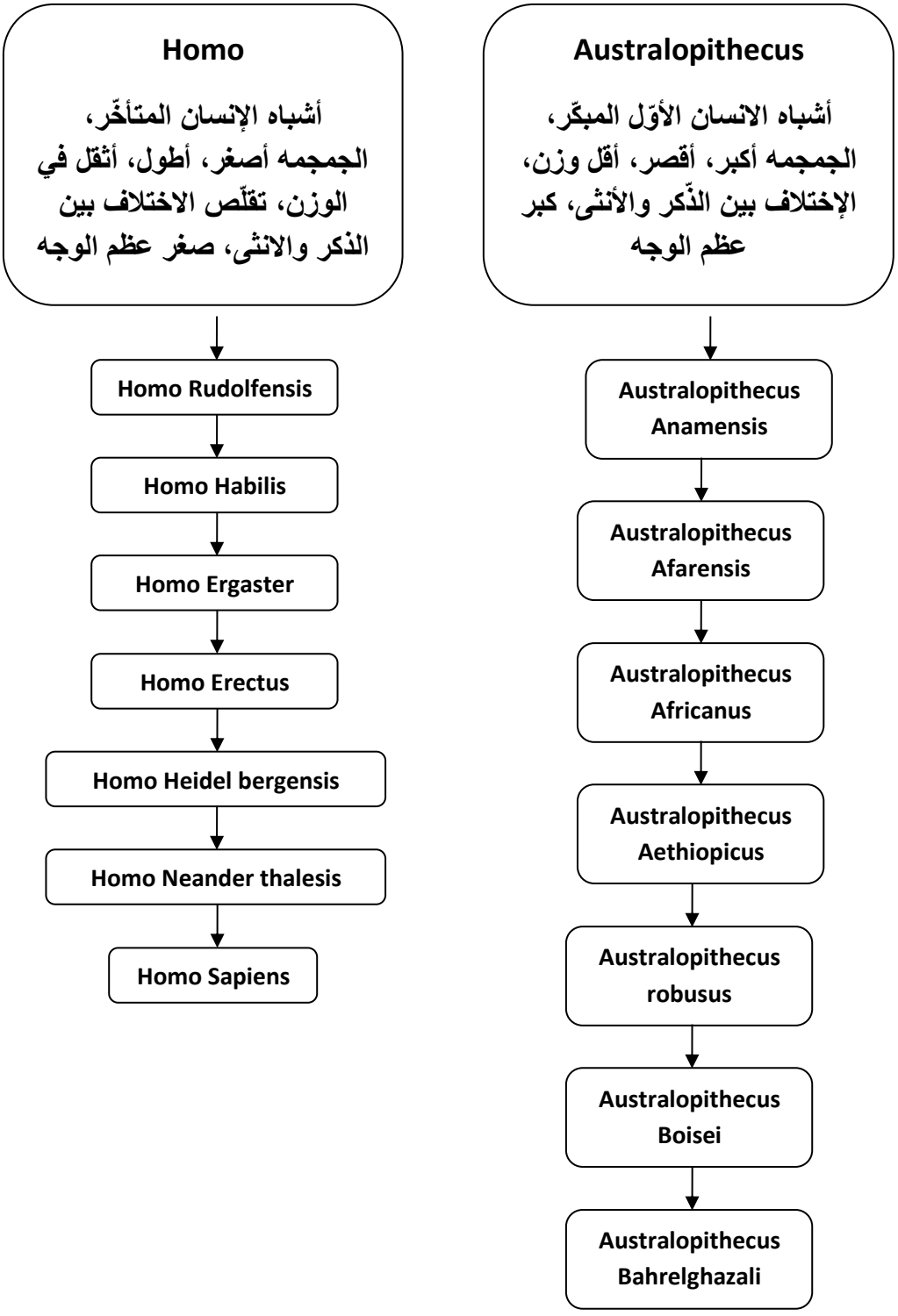

الفصل الخامس

"كتاب أصل الأنواع"

مقدمة الكتاب

في مقدمة كتاب "أصل الأنواع On the Origin of Species" الذي ألفه العالم البريطاني تشارلز داروين سنة ١٨٥٩، بدأ بوصف رحلته الشهيرة على متن سفينة البيجل، ثم تحدث حول توظيف العلم لفهم الطبيعة، وجزم فيها أن نشأة الأنواع لا تُرصد أو تُفهم الا من خلال الملاحظة والتجربة.

كما وتحدث في مقدمة كتابه خلال سنوات تواجده على ظهر السفينة، عن جمع العينات من مختلف أنحاء العالم، والتي لاحظ في طناياها أن الإعتقاد السائد آنذلك حول أصل الأنواع بأنه ثابت وغير متغير، بأنه يمكن أن يتحرك ويتغير، وهذا ما جعله يطرح السؤال: "هل يمكن للأنواع أن تتغير مع مرور الزمن، عبر عملية الإصطفاء والإنتقاء الطبيعي؟".

ولقد عرف داروين الإصطفاء والإنتقاء الطبيعي في مقدمة كتابه بأنه العملية التي تجعل الكائنات الحية الأمثل التي استطاعت التكيف مع البيئة بأنها القادرة على البقاء والإستمرار - حفظ السلالات الأمثل والأجدر في صراع الحياة- ثم التكاثر ونقل جيناتها للجيل الآتي، وهذا يكون بزمانية طويلة ممتدة قد تؤدي لاحقاً الى تحول هذه الكائنات الى كائنات أخرى.

وهناك أدلة استشهد بها داروين في مقدمة كتابه حول ذلك، منها: "سجل الحفريات، التوزيع الجغرافي، التشابه بين الكائنات، وغيرها".

الفصل الأول

تحدث داروين في الفصل الأول من كتابه أصل الأنواع عن التنوع بتأثير التهجين، حيث ذكر وبحث التنوع الكبير في النباتات والحيوانات الداجنة، وقال بأن التنوع فيها لا ينحصر في صفات مُحددة، بل قد يكون في كل الجوانب، كما وقد اعتبر أن التنوع والتباين هو أمر ضروري لحدوث التطور.

كالتنوع الكبير في أصناف الكلاب، من شكل ولون وحجم وشعر، والتي ردّها داروين الى الإنتخاب الصناعي -ما يُعرف ب"التهجين"- والذي شرحناه آنفا، حيث يتم اختيار كائنات ذات صفات مميزة، ثم تزويجها، ومع مضي الزمن قد تتحول لاحقا الى كائنات أخرى ذات صفات مقصورة.

حيث قال في هذه الجزئية: "الكلب ستصبح عضلات أرجله الخلفية أقوى إذا استخدم لجر العربة، بينما ستصبح عضلات أرجله الأمامية أقوى إذا استخدم للصيد".

الفصل الثاني

تحدث داروين في الفصل الثاني من كتابه أصل الأنواع عن التباين بتأثير الطبيعة، حيث يقول بأن التباين يُورّث، وهو عامل مهم لحدوث التطور، ويحدث التباين نتيجة للبيئة ك"الإنتقاء الطبيعي، الطعام، المناخ"، كما ويحدث التباين نتيجة للعوامل الوراثية ك"الإنتقاء الجيني، الإنتخاب الصناعي، الطفرة"، وأردف يقول بأنه يوجد تباين كبير في الكائنات الحية من حيث الهيكل والتكوين، كما أكد أن هناك اختلاف في العادات بين هذه الكائنات، والتي تصب في النهاية الى حدوث التطور، لأن الكائنات المُثلى ستجد نفسها مضطرة الى التكيف مع البيئة وصراع الطبيعة ناباً ومخلباً.

أيضاً، ناقش في هذا الفصل التباين للحيوانات "الشكل، اللون، الحجم"، وكما وناقش التباين للنباتات "الشكل، النكهة، الحجم".

كما وتحدث في الفصل الثاني عن آلية الإنتخاب الطبيعي، وبأنه قد ينتج من خلاله تطور لكائنات الى كائنات جديدة مع مرور الزمن.

الفصل الثالث

تحدث داروين في الفصل الثالث من كتابه أصل الأنواع حول الصراع من أجل البقاء، وأن الكائنات في صراع مستمر حول موارد الطبيعة المحدودة، وأن الكائنات الأكثر تكيفاً هي الكائنات الناجية.

تحدث في هذا الفصل عن عدد الكائنات، ومنافستها على الموارد بشكل مباشر وغير مباشر.

كما وتحدث في هذا الفصل عن الصراع بين الكائنات، والذي لا يُشترط أن يكون بين نفس الأنواع، فقد يكون مع أنواع مختلفة، وقد يكون مع البيئة نفسها.

وهذا الصراع من وجهة نظر داروين هو عامل لتطور الكائنات الى كائنات جديدة في زمانية طويلة وممتدة.

الفصل الرابع

تحدث داروين في الفصل الرابع من كتابه أصل الأنواع عن مفهوم البقاء للأصلح، حيث شرح مفهوم الإصطفاء الطبيعي، وأنه المسؤول -الإصطفاء والإنتقاء الطبيعي- عن حدوث التطور، والإنتواع بظهور أنواع جديدة من الأنواع القديمة، والتي تظهر من خلال المنافسة على الموارد وبقاء الأقوى.

حيث أن الكائنات التي تكيفت ونجت ستتحول الى أنواع جديدة عبر مضي الزمن ومروره.

الفصل الخامس

تحدث داروين في الفصل الخامس من كتابه أصل الأنواع عن قوانين التباين، وتعرّض الى أسباب التيان، والتي قسمها الى قسمين "داخلية، خارجية"، أما الداخلية فتشمل "قوانين النمو، الجهاز التناسلي"، وأما الخارجية فتشمل "الصراع من أجل البقاء، استخدام الأعضاء، البيئة".

ولقد أشار في هذا الفصل بأن التغيرات لا تخرج عن ثلاثة أشكال "مفيدة، ضارة، محايدة"، وأن المفيدة هي التي تُورث، بينما الضارة نسبة توريثها نادر جدا.

كما وتحدث بأن التباين مُنتشر بين الكائنات البريّة والمدجّنة، وأن هذا التباين هو متعدد الأشكال.

ولقد ختم في هذا الفصل قوله بأن الإنتقاء الطبيعي يعمل على هذه التباينات، والتي تؤدي مع مرور الزمن الى حدوث التطور وظهور أنواع جديدة.

الفصل السادس

تحدث داروين في الفصل السادس من كتابه أصل الأنواع عن الصعوبات التي تواجه الإنتقاء الطبيعي، ولقد اعترف بهذه الصعوبات، ومن جملتها الحلقة الوسيطة بين الأجيال السابقة واللاحقة.

ولقد اشار أيضاً الى الغرائز والأعضاء المعقدة في الكائنات، والتي هي من الإعتراضات التي تواجه نظرية التطور.

ولقد ختم هذا الفصل بجدال مفاده أن هذه الإعتراضات والصعوبات التي تواجهها نظرية التطور غير مُستعصية على الحل، وأن نظرية التطور قادرة على ايجاد الجواب عبر الإنتخاب الطبيعي المُستند على أدلة علمية ونظرية وكثيرة حسب قوله.

الفصل السابع

تحدث داروين في الفصل السابع من كتابه أصل الأنواع عن الغريزة، فقام بتعريفها على أنها فعل سلوكي لا علاقة له بالتعلم أو الخبرة السابقة، وهذه الغريزة يمارسها الكائن الحي بسبل متشابهة دون أن يدرك الغاية منه.

كما وضح داروين في هذا الفصل أن الغريزة صفة موروثة تخضع لقوانين الانتخاب الطبيعي؛ تنتقل عبر الأجيال وتتطور تدريجياً، تماماً مثل تغيرات الجسد، حيث أنها تمنح الكائن فرصة أكبر على البقاء.

وبين داروين في هذا الفصل العلاقة بين الغريزة والإنتخاب الطبيعي، وختم هذا الفصل بقوله أن الغريزة هي فعل أساسي في تطور الكائنات.

الفصل الثامن

تحدث داروين في الفصل الثامن من كتابه أصل الأنواع عن التهجين، حيث تحدث عن تزاوج بين كائنين مختلفين، والتي عادة ما تكون عقيمة ولا تُنتج نسل جديد، ويناقش هذه المسألة.

ويتحدث في هذا الفصل حول أن الكائنات الهجينة هي السبب في فهم تطور الأنواع والعلاقات المنوطة بها، وأن التهجين يساعد على تحديد هوية هذه الكائنات المتطورة.

الفصل التاسع

تحدث داروين في الفصل التاسع من كتابه أصل الأنواع على أن هناك نقص بالسجل الجيولوجي للأحافير، وأنه غير مكتمل، ويناقش هذا النقص وأسبابه، وأن هناك أحافير مفقودة لا يمكن العثور عليها مطلقاً.

وختم هذا الفصل بأن فقدان هذه الأحافير وعدم اكتمال السجل الجيولوجي لها يُشكّل تحدٍّ كبير للتطور، ولكنه لا ينفي التطور.

الفصل العاشر

تحدث داروين في الفصل العاشر من كتابه أصل الأنواع عن التعاقب الجيولوجي للعضويات، حيث وضّح أن السجل الأحفوري تَبَين من خلاله أن هناك كائنات مع مرور الزمن ظهرت ثم اختفت.

كما أنه شرح من خلال هذا الفصل كيف للإنتخاب الطبيعي أن أن يحلل ويُبيّن اختفاء وانقراض الكائنات، إضافة الى تعاقب الكائنات الحية الجيولوجي، والذي سيؤدي الى في نهاية المآل الى التطور وظهور أنواع جديدة مع مرور الوقت وجريانه.

يختم داروين هذا الفصل بقوله أن هناك أدلة كافية على نظرية التطور من خلال تعاقب الكائنات الحية في النسق الجيولوجي.

الفصل الحادي عشر

تحدث داروين في الفصل الحادي عشر من كتابه أصل الأنواع عن التوزيع الجغرافي للكائنات، فبين أن الهجرة والجغرافيا والمناخ هي العوامل المؤثرة في توزيع الأنواع، والذي يتبع أنماط محددة وليس عشوائي.

ويختم داروين هذا الفصل بأن الكائنات تطورت لكي تتكيف مع بيئتها.

الفصل الثاني عشر

تحدث داروين في الفصل الثاني عشر من كتابه أصل الأنواع عن التوزيع الجغرافي أيضا، حيث ناقش فيه التوزيع الجغرافي للكائنات المائية، والتي تعيش في المياه العذبة.

ووضح في هذا الفصل أن هذه الكائنات العضوية المائية، والتي تعيش في المياه العذبة تطوّرت عن تلك التي تعيش في المحيطات، والسبب هو اختلاف البيئات، والذي أرغم الأنواع أن تتكيف معها، والتي أدت في النهاية الى تطور هذه الكائنات في المياه العذبة عبر الإنتخاب الطبيعي.

الفصل الثالث عشر

تحدث داروين في الفصل الثالث عشر من كتابه أصل الأنواع عن الصِّلات العِرقية المتبادلة للكائنات العضوية، حيث تحدث عن الخصائص المتماثلة بين الكائنات الحية، وأن هناك ارتباط بينها، وأن هذه الكائنات المرتبطة ببعضها عادة ما تتشارك في خصائص كثيرة، كتشابه العظام والعضلات مثلا، وتشابه الأجنة الى حد ما.

وتحدث في هذا الفصل على أن هذا التشابه الكبير بين الكائنات، يُؤشر على أن هناك سلف مشترك لهم، وأنهم قد تطوروا منه عبر الزمن.

كما وتطرق في هذا الفصل الى ذِكر الأعضاء البدائية، والتي لم تعد وظيفية، حيث كانت تعمل لدى السلف الغير موجود لهذه الكائنات، ولكنها تعطلت في هذه الكائنات الحالية.

ويختم هذا الفصل بأن هذه الأعضاء البدائية والتي لم تعد وظيفية، هي المؤشر على وجود التطور، وأن هذه الكائنات الحالية جاءت من سلف مشترك.

الفصل الرابع عشر

تحدث داروين في الفصل الرابع عشر من كتابه أصل الأنواع عن خلاصته لنظرية التطور.

وختمه بأن نظرية التطور بالإنتخاب الطبيعي هي التفسير الأنسب والأفضل لتنوع الحياة على كوكب الأرض، وأنها مدعومة بأدلة ونظريات علمية رياضية وفيزيائية.

الفصل السادس

"مُلخص حول نظرية التطور"

كان يسود منذ القدم نظريات بسيطة لتفسير الحياة، أهمها نظرية التوليد العفوي (Spontaneous Generation)، حيث كان النّاس يؤمنون بأن الكائنات الحيّة يمكن أن تنشأ من مادّة غير حيّة، وكانت هذه الفكرة شائعة أيضاً في عهد داروين، وهذا الفهم البسيط للعلم في عصر داروين يُصوّر نظام متواضع وسطحي للحياة، وفي الواقع نحن في نظام يتّسم بالعمق العلمي المخيف، حيث تم دحض هذه النظرية بتجارب عديدة للعلماء، ومن أبرزهم لويس باستور.

الفهم البدائي حول النظام الكوني في عصر داروين

عالم الرياضيات والفلكي الفرنسي بيير سيمون لابلاس "Pierre Laplace"، قدّم تفسيراً علمياً لنشأة النظام الشمسي بعيداً عن التفسيرات الميتافيزيقية عبر نظريته الشهيرة المعروفة بـ "الفرضية السديمية (Nebular Hypothesis)،

وفي سياق أصل الحياة اقترح لابلاس أن النظام الشمسي لم يظهر فجأة، بل نشأ من سحابة ضخمة من الغاز والغبار الدوار (السديم) ومع بردود هذه السحابة وانكماشها، زادت سرعة دورانها وانفصلت عنها حلقات شكلت الكواكب لاحقاً.

ولقد فُتن العلماء بنظرية لابلاس حول نشأة النظام الشمسي، وكانت قد استقرت وأصبحت مرجعاً علمياً قبل أن ينشر داروين كتابه "أصل الأنواع" بأكثر من 30 عاماً، حيث كان عمر داروين ٨ أعوام عندما توفي لابلاس.

لكن الحقيقة هي أن لابلاس يُعتبر من الممهدين فكرياً لداروين؛ لأن لابلاس أثبت أن النظام الفيزيائي للكون يمكن تفسيره دون تدخلات فجائية، وهو ما حاول داروين فعله لاحقاً مع النظام البيولوجي، فداروين صور لنا نظام الكون على أنه مغلق ويتطور نحو الأفضل مع مرور الزمن، دون وجود أي ذِكر لدور الخالق -الإله- في النظام الخاص بنظرية التطور.

وعندما سأل السياسي الفرنسي "نابليون بونابرت" لابلاس حول عدم التطرق إلى ذكر الخالق والإله في نظريته أجاب لابلاس: "إنَّ الإله فرضية لم أجد لها ضرورة في عملي هذا"، وهذا ما فعله داروين أيضاً، حيث نحّى الإله من قلب النظرية ولم يجد له أي ضرورة هو الآخر، وهو بطريقة أو بأخرى اقتبس اجابة لابلاس لنابليون، ووظفها في مجموعة مبادئ أو فرضيات لنظريّته، فرسم الوجود وكأنه وحدة ميكانيكية تتطور فيه الكائنات بزمانية طويلة وممتدة، لتصبح نظيراً لفرضية الخلق (Creationism).

اسقاط التطور على الإنسان

صاغ داروين أصل الأنواع بآلية الإنتخاب الطبيعي من خلية بسيطة تطوّرت مع مرور الزمن، والتي حاول إسقاطها على الإنسان، ولقد وظفها حقيقة فيه، حيث تحدث عن انحدار الإنسان من سلف مشترك الى جانب القردة من كائنات حية أخرى، ولقد ذكر ذلك في كتابه (انحدار الإنسان).

ولقد انتقده الكثير من العلماء والمختصين، منهم عالم الجيولوجيا تشارلز ليل (Charles Lyell) وعالم الجغرافيا ألفرد راسل والاس (Alfred Wallace) وعالم النبات الأمريكي آسا جراي (Asa Gray) والى الآن لا يزال النزاع قائم بين أنصار الخلق أنصار التطور.

نظرية التطور حجر الزاوية في علم الأحياء

نتيجة تضافر علماء وأنصار ودعاة التطور، انتقلت النظرية من مجرد "فرضية مثيرة للجدل" إلى حجر الزاوية في علم الأحياء الحديث، وطَفِقَت بالإمتداد بين الأوساط العلمية والأكاديمية إلى ان أصبحت عقيدة لا يُمكنك المساس بها.

وأصبح مُعظم من طرحت عليه النظرية يعتقد أننا نتاج عملية عشوائية عبثية عرَضية لا وجهة لها ولا غائية، ومنهم من اعتقد حقاً أن أجداده قرود؟! في المقابل بدأت نظرية الخلق والتصميم الذكي في التبخر شيئاً فشيئاً من صحن الوجود.

الأحيائي إرنست ماير (Ernst Mayr) والمُلقب ب"داروين القرن العشرين"، قال أن النظرية الداروينية ربّما كانت أهم الثورات الفكرية في تاريخ البشرية، لأنها لم تقض على مركزية الإنسان فحسب، وإنما أثّرت في كل مفهوم ميتافيزيقي وأخلاقي.

أما الأحيائي الأسترالي مايكل دانتون (Michael Denton) صاحب الكتاب الشهير "التطور: نظرية في أزمة"، يصف نظرية التطور بأنه انقلاب أعمق من الانقلاب الذي تسببت فيه نظريات نيوتن وجاليليو مجتمعة معاً.

هل يمكننا اختبار التطور

عملية التطور تنقسم إلى قسمين: الأول هو التطور الصغير (Microevolution) وهو التغيّر على مستوى النوع الواحد نفسه، كتغيير حجم المنقار، أو لون لجلد، أو تغيير في حجم عضو معين من الجسم، أو نحو ذلك، والثاني هو التطور الكبير (Macroevolution) وهو الإنتواع، والانتقال من نوع إلى نوع آخر، ويكون بحدوث تغيّر في الصفات المورفولوجية والجينية عبر ملايين السنين.

علماء ودعاة الداروينية يطرحون نظرية التطور على أنها حقيقة علمية وتجريبية يمكن اختبارها، ولكن تبين أن كل ذلك كذب وبهتان.

الخلاصة.. إن لم يكن داروين ملحداً، أو أنه أخفى إلحاده، إلّا أنه قد ساهم بشكل كبير في ظهور الالحاد، وكان المُلهم والمنقذ الأول لعلماء الإلحاد واللاأدريين (Agnostics) أمثال عالم سلوك الحيوان ريتشارد دوكينز (Richard Dawkins) والفيلسوف دانيال دينيت (Daniel Dennett) وعالم النمل الشهير إدوارد أوزبورن ويلسون (E. O. Wilson) مؤسس "البيولوجيا الاجتماعية"، وعالم التطور جيري كوين (Jerry Coyne) وعالم الوراثة الفرنسي فرانسوا جاكوب (François Jacob) وعالم الفيزياء الشهير ستيفن ويليام هوكينج (Stephen William Hawking) وغيرهم الكثير من الخصوص والعموم.

إن داروين يتفق في نظريته مع عالم الأحياء والأكاديمي الفرنسي "جان باتيست دو لامارك Lamarck" والذي كان مؤمناً بالتطور، حيث كان يرى أن رقبة الزرافة قصيرة، ولكن ولكونها كانت تمد برقبتها كثيراً للحصول على ورق الشجر فقد حدث تغيير في طول رقبتها، وامتدت مع مرور الزمن، ومن جيل الى جيل أصبحت رقبة الزرافة طويلة.

والجدير بالذكر أنه قد كان شائعاً في تلك الحقبة أن الكائنات تُخلق من بعض الجمادات، حيث كان مُتداولاً أن الدود يُخلق من الأكل المتعفن، والفأر يُخلق من النفايات، ولقد تحدث الفيلسوف الواقعي أرسطو بذلك في السابق.

يمكن اختصار نظرية داروين بأربعة قواعد

الأولى- الكائن الحي يُخلق من الجماد.

والثانية- الطبيعة تُكسب الصفات للمخلوق، ويمكن تحول المخلوق الى مخلوق آخر وجديد.

والثالثة- الصفات المُكتسبة تُورث.

والرابعة- الطبيعة تستطيع خلق منظومة جديدة ومعقدة، وكل هذا بفعل الصدفة، وبالتالي فإن المخلوقات وجدت من العدم، دون مسبب وخالق، ودون هدف أو غاية أو حكمة.

أما عن القاعدة الاولى، فقد أثبت الطبيب وعالم الأحياء الايطالي "فرانسيسكو ريدي" خرافة خلق المخلوقات من الجمادات، حيث جاء بعلبتين، ووضع فيهما

قطعتين من اللحم، وأغلق الاولى، وترك الثانية مفتوحة، فأتت الحشرات على قطعة اللحم في العلبة المفتوحة، أما العلبة الثانية فكانت خالية من تواجد اي نوع من الحشرات، وظلت قطعة اللحم كما هي في داخلها، وكانت هذه التجربة قبل قرنين "٢٠٠ عام" من مجيء داروين ونظيرته.

وأما القاعدة الثانية، وهي أن الطبيعة تُكسب الصفات للمخلوق، فقد رد العالم النمساوي "غريغور يوهان مندل" مؤسس علم الوراثة عليها، حيث قال ان الصفات لا تخرج عن سياق العائلة نفسها، وأثبت ذلك.

أما عن القاعدة الثالثة، وهي أن الصفات المكتسبة تورث، فقد أثبت أحد العلماء المختصين في الزيولوجي (Zoology) خطأ هذه القاعدة، بتجربة أجراها على فأرين، حيث قام بقطع ذيلهما ثم زاوجهما، فجاءت الجراء كلها بذيول.

وأما عن القاعدة الرابعة، وهي أن الطبيعة تستطيع خلق منظومة جديدة ومعقدة، فقد تبين هراء هذه القاعدة بمثال، جماعة من العميان، قاموا بجمع قطع من الفولاذ، والألومنيوم، والتيتانيوم، والحديد، والبلاستيك، والمطاط، والسيليكون، المنثورة في أراضٍ مختلفة وعلى حِدة، ثم قاموا بجمعها ورميها في مستودع مهجور، وبعد عشرات السنين خرج رجل آلي يمشي لوحده من هذا المستودع، فسأل الناس العميان: "كيف تجمعت هذه القطع لوحدها، وخرج هذا الرجل الآلي بصورة مكتملة من المستودع؟"، فأجاب العميان: "لا نعلم.. ولكن كنا على مدار سنوات عديدة نجمع الخردة من القطع ونرميها في المستودع، وبالصدفة خرج هذا الرجل الآلي!".

التطوّر والخلق المباشر

تأثر الفيلسوف الفرنسي ديني ديدرو (Denis Diderot) بأفكار عالم الطبيعة والكونيات الفرنسي "جورج لويس لوكلير" المعروف ب"الكونت دي بوفون"، حيث اقترح بأن المادة تتفاعل بشكل عشوائي، ما ينجم عن ذلك نشوء الحياة عن طريق الصدفة.

ولقد تأثر أيضا ب"الكونت دي بوفون" العالمان الفرنسيان "إيتيان جوفري وجون لامارك"، حيث سُميت نظرية التطور في البداية على اسم الأخير "اللاماركية"، وقد لخّص لامارك فيها أفكاره عن التطور في كتابه المعنون "التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقارية"، والذي صدر في سبعة مجلدات في عام ١٨٢٠م.

أمّا "الكونت دي بوفون" فقد تأثر بالفيلسوف والموسوعي الفرنسي "بارون دولباخ"، صاحب الكتاب الشهير "نظام الطبيعة" المشهور ب"إنجيل الإلحاد"، والذي ناقش فيه فكرة تنظيم المادة لنفسها بنفسها، لتنتج الحياة بفعل العوامل البيئية والزمنية فحسب.

لكن الفكر الداروينى والتطوري لم يُترك وحده يصول في الساحة العلمية كإله معبود، فلقد كان هناك فريق من المحتجين بانتظاره، أبرزهم العالِم الفرنسي جورج كوفييه (Georges Cuvier) الذي حاورهم بأن انقراض الكائنات يتم بفعل عوامل الطبيعة، ثم يتدخل الإله لخلق الكائنات بشكل مباشر.

أما عن جورج كوفييه (Georges Cuvier) الخصم العلمي اللدود لفكرة التطور التدريجي، فخلال دراسته لهيكل الحيوان، أثبت أن أي تغيّر واحد في أي جهاز من أجهزة أي كائن حي، يعني تعطل بقية الأجهزة، وأن أي تغيّر بسيط في الكائن الحيّ يتطلّب تغيير في جميع أجهزة الكائن الحيّ بشكل مماثل، وهذا ما جعل نظرية التطور مستحيلة.

الفصل السابع

"نقد نظرية التطور"

هل أثبتت العلوم الحديثة نظرية التطور؟

بالطبع لا، إذ إن كثيرًا من العلوم الحديثة والإكتشافات العلمية لم تكن موجودة، فلم يكن يُعرف علم الأحياء الجزيئي (Molecular Biology) وعلم التأريخ الإشعاعي (Radiometric Dating) وعلم تكتونية الصفائح (Plate Tectonics) وعلم الأحياء الدقيقة الحديث (Modern Microbiology) وعلم الوراثة (Genetics)، ولذلك كانت هناك فجوات كبرى في نظرية التطور، لأن هذه العلوم الأساسية لم تكن قد وُلدت بعد، مما جعل نظرية التطور تعتمد فقط على "الملاحظة الخارجية"، وتواجه صعوبات عصية على الحل كلّما تقدم الزمن، وكلما تعاقبت العلوم على النظرية تجلت عقبات وتعقيدات لا يمكن حلها، ولذلك نجد أنصار النظرية يلجأون الى التفلسف لإنقاذ النظرية، وأحيانًا الى الخداع والتضليل والتزوير العلمي لكي تبقى في طور النظرية على الأقل.

بعض الفجوات التي غابت عن داروين ونظريته

لم يكن يعلم تشارلز داروين أنّ العالم جون هالدين (J.B.S. Haldane) مؤسس علم وراثيات العشائر، اكتشف ان العوامل الخارجيّة ليست هي المسؤولة عن الطّفرة! وإنّما تحث الجينات المسؤولة عن الطّفرة لكي تعمل.

لم يكن يعلم تشارلز داروين أنّ عالم النّبات الهولندي الشّهير هوجو ديفريز (Hugo de Vries) قد لاحظ من خلال تجارب تهجين النّبات بالنسبة للوراثة بأن الجينات اختلفت وظهر نوع جديد ثابت اسماه الطّفرة، حيث قال: "إن الجينات التي تحمل الصفات الوراثية، هي التي تعطي الوراثة وليس الطّبيعة!"، ولقد قال لامارك بذلك أيضاً.

لا يوجد إنتواع

الجيولوجي الأمريكي كيسي لسكين (Casey Luskin) قام بفحص بعض الحالات التي تم الإدعاء أنها انتقلت من نوع الى آخر، فتبيّن له أن هذه الإدّعاءات غير صحيحة على الإطلاق، وأنه في الحقيقة ليس هناك حالة واحدة من الحالات المذكورة حدث فيها التطور الكبير "الإنتواع" الذي يتسبب في ظهور نوع جديد، بل كانت جميع التغيّرات على مستوى النوع الواحد فحسب .

وفي تجربة ملفّقة قام الباحث التطوري بجامعة ميتشيجن الأمريكية "ريتشارد لينسكي" برصد علامات التطور في البكتريا لمدة ٢٠ سنة بتعقب ٤٠,٠٠٠ جيلًا من البكتيريا، وفي النهاية أقرّ أنه لم يكن هناك تغيّر لجين واحد مفيد أو بنّاء طوال هذه المدّة!

وقد علّق أستاذ علم الجراثيم بجامعة بريستول البريطانية "آلان كلينتون" متسائلًا: (ولكن أين هو الدليل التجريبي؟ لا يوجد ادّعاءٌ في الأدبيات العلمية أن نوعًا من الكائنات الحية قد تطور إلى آخر؟! البكتريا وهي أبسط صور الحياة المستقلة، والتي تُعتبر مثالية لهذه الدراسة، تنتج أجيالًا كل ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة وتمثل مجاميع كل ١٨ ساعة، ولكن طوال ١٥٠ عامًا من علم الجراثيم، لا يوجد دليلٌ علمي واحد على أن نوعًا من البكتيريا قد تغير إلى آخر!).

معاناة النظرية

منذ أن أضرم داروين شرارة التطور حتى لاقت النظرية ثقل الوقوف والمعاناة، ليضطر عُبادها من بعده إلى التدخل لتكييفها وفقًا للمفاعيم والعلوم والمعطيات الحديثة، ولكن ظهر ما يُعرف بالانفجار الكمبري "Cambrian Explosion" وهو الظهور المفاجئ لأكثر من ٤١ شعبة من شعب الحيوانات بشكل آني ولحظي، وبلا أي سجل أحفوري، مما أحدث هزة في كيان النظرية وأنصار التطور.

علماء أنكروا التطوّر

١- ديفيد بيرلينسكي David Berlinski -عالم الرياضيات والبيولوجيا الجزيئية والفيلسوف الأمريكي- هو أشهر من انتقد التطور، حيث يرى أن نظرية التطور تُروج بين الناس باسم العلم والحقائق، وذلك بعدما زادت شكوكه الكثيرة حولها كلما تقدمت العلوم، حيث أعلن ذلك على الملأ في مجلة "كومينتاري" عندما صرح بريبه حول التطور في مقال بعنوان "انكار داروين" عام 1996م، وفي السنوات الأخيرة قام بوضع كتابه الشهير "وهم الشيطان" عام 2008م، ولهُ حوارات مليئة باعترافاته من سخرية العلماء المؤمنين بالداروينيين والتطوريين والزاخرة بالتهكمات العلمية من افتراضات التطور الخيالية ونقاط ضعفها القاتلة.

٢- جورج كوفييه Georges Cuvier -أحد أهم أقطاب العلم في القرن العشرين، ويعد من أهم من ترأسوا أكاديمية العلوم- وهو أبرز الذين دافعوا عن الخلق المباشر، وكان ناقداً لنظرية التطور.

٣- مايكل دنتون Michael Denton -عالم الكيمياء الحيوية- الذي كان يؤمن بالتطور في السابق إلى أن بدأ يكتشف بنفسه مع التقدم الرهيب في علم البيولوجيا الجزيئية عشرات الثغرات القاتلة عن التطور، فقام ساعتها بوضع كتابه الشهير "التطور نظرية في أزمة"، وهو من أوائل الكتب التي دحضت وقلبت نظرية التطور رأسا على عقب في العصر الحديث، كان ذلك عام 1985م، وله مشاركات عديدة في وثائقيات علمية عن الدقة المتناهية وعلامات التصميم الذكي في الحياة والأرض والكون وصولا إلى الإنسان، وقد ترجم أعماله في كتابه "قدر الطبيعة" عام 1986م.

٤- مايكل بيهي Michael Behe -عالم أمريكي متخصص في الكيمياء الحيوية- راودته شكوك كثيرة أيضاً حول التطور لعلّة تخصصه العلمي الدقيق والاكتشافات العلمية الأخيرة، وخصوصا عندما قرأ كتاب "التطور:نظرية في أزمة" لمايكل دنتون، ووجد أن كل النقاط التي ذكرها بالفعل طعنت التطور الصدفي والعشوائي، ليقوم بتأليف كتابه الشهير "صندوق داروين الأسود" عام ١٩٩٦م، ويعتبر بيهي من أشهر من أسسوا ووضعوا قواعد التصميم الذكي أو "الصنع المتقن" في شكلها الأكاديمي الأخير، وخصوصا نقطة التعقيد الغير قابل للإختزال، ودلالاته على استحالة التطور التدريجي العشوائي عبر الزمان، والمؤشرات على دلالاتها الغائية لظهور الأعضاء المعقدة مرة واحدة من جهة مصمم ما.

٥- وليم ديمبسكي William Albert "Bill" Dembski -عالم رياضيات وفيلسوف أمريكي- هو من دعاة التصميم الذكي، والمعارضين بشدة لنظرية داروين القائمة على الانتقاء الطبيعي، يقول ديمبسكي أن تفاصيل الكائنات الحية يمكن أن توصف بشكل مشابه، خصوصاً نماذج التتابع الجزيئي في الجزيئات البيولوجية الوظيفية، مثل الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين، كما أن الثبات من ناحية المفاهيم في نقاش ديمبسكي للتعقيدات المتخصصة كان موضع جدل داخل المجتمع العلمي، مؤيدو التصميم الذكي يعتبرونه كبرنامج للبحث العلمي، ويحقق في آثار المسبب الذكي، فالتصميم الذكي يدرس آثار المسبب الذكي، وليس المسبب الذكي نفسه، على ضوء ذلك، وبما أنه لا يمكن اختبار هوية المؤثرات خارج نظام مغلق من داخله، تقع الأسئلة التي تتعلق بهوية المصمم خارج حدود المفهوم، وهو صاحب كتاب "تصميم الحياة" بالتشارك مع جوناثان ويلز، ويعد الكتاب من بين أقوى الكتب في النقد العلمي للنظرية.

٦- جوناثان ويلز John Corrigan "Jonathan" Wells -عالم البيولوجيا الجزيئية الأمريكي- فمع دراسته للبيولوجيا الجزيئية ومع الاكتشافات الحديثة أيضا الناطقة بعلامات الغائية والخلق، تراجع عن إلحاده إلى المسيحية، وأصبح من أعداء نظرية التطور، وألف كتابه الشهير "أيقونات التطور" عام ٢٠٠٢م، وأيضا له كتاب "تصميم الحياة" الذي شاركه مع ديمبسكي.

٧- جيري فودور Jerry Fodor -فيلسوف وعالم إدراك ياباني- وماسيمو بياتيللي بالماريني Massimo Piattelli-Palmarini -عالم إدراك ولغوي بريطاني- بدأ الأول بالتشكيك في حقيقة وجود الانتخاب الطبيعي وذلك في كتاب "لماذا لا تملك الخنازير أجنحة؟" والذي نشر سنة 2007 بمعرض لندن للكتاب، ثم شارك مع ماسيمو في إصدار الكتاب الصادم وهو "What Darwin Got Wrong" عام ٢٠١١، وقاما معاً في مقدمته وبالتوضيح أن الكتاب نقد علمي وليس ديني للإنتخاب الطبيعي في نظرية التطور -أو ما شابه ذلك- حين قالا: "هذا ليس كتابا عن الله، ولا عن التصميم الذكي، ولا عن الخلق، ليس هناك أحد منّا متورط في شيء من ذلك، لقد رأينا أنه من المستحسن أن نوضح هذا من البداية، لأن رأينا الأساسي فيما يقضي بأن هناك خطأ ما، وربما خطأ لدرجة قاتلة في نظرية الانتخاب الطبيعي".

٨- فيليب إي. جونسون Phillip E. Johnson -عالم قانون أمريكي- وكان تطوريا، اضطلع بدوره على كتاب "التطور نظرية في أزمة" لدنتون، وبدأ في التوسع في القراءة، ومتابعة آخر الأخبار العلمية، إلى أن تيقن تماما من أخطاء التطور، وأنها لا تعدو تزييفات وتكهنات خيالية لا يدعمها أي دليل عقلي أو علمي تجريبي صحيح، وعلى أثر ذلك أصبح من أشهر من ينتقدون التطور في أمريكا، وله مجموعة كتب تتحدث عن الداروينية أنها لا تقوم على أدلة تجريبية قاطعة، من بينها "هزيمة الداروينية"، وكتاب "محاكمة داروين" وكتاب "الاعتراضات الوجيهة للتطور وأشياء".

٩- دوان كيش Duane Gish -متخصص في الكيمياء الحيوية- شارك في العديد من المحاضرات الجامعية والمؤتمرات الدولية للرد على نظرية التطور بأسلوب علمي وحضاري، وله عدة أبحاث بيّن فيها عدم صحة نظرية التطور، وقد جمع محاضرته في كتاب "هل تعرضت لغسيل الدماغ؟"، ومن كتبه أيضا "المتحجرات ترد على نظرية التطور بالرفض".

١٠-لويس باستور Louis Pasteur -عالم كيمياء وأحياء فرنسي- أثبت خطأ نظرية التطور وأسسها، ووصل الى أن المادّة لا يمكن أن تنظّم نفسها بنفسها.
١١-ألكسندر أوبارين Alexander Oparin -عالم كيمياء حيوية سوفييتي- وهو من أنصار نظريّة التطوّر، قام بالعديد من الأبحاث لإثبات أن الكائنات كلّها أتت من ظهر الخليّة الحيّة الأولى عن طريق الصّدفة من مادّة غير حيّة، والتي ظهرت منها كل الكائنات، وانتهت أبحاثه بالفشل، ولا زالت مشكلة أصل الخليّة الحيّة الأولى هي المشكلة الأكثر ضبابيّة في نظريّة التطوّر .
١٢-ستانلي ميلر Stanley Miller -كيميائي أمريكي- وهو من أنصار نظريّة التطوّر بعد أوبارين، أجرى الكثير من التّجارب عن أصل الخليّة الحيّة الأولى، وانتهت تجاربه بالفشل
١٣-جيفري بايدا Jeffrey Bada -أستاذ الكيمياء البيولوجيّة- وهو أيضا من أكبر المدافعين عن نظريّة التطوّر، صرّح لمجلّة الأرض عام ١٩٩٨م قائلا: "وصلنا الى القرن ٢١ ونحن إلى الآن لم نقوم بحل المشكلة التي أثير في القرن ١٩ و ٢٠ وهي كيف بدأت الحياة على الأرض؟".
١٤-فرانسيس كريك Francis Crick -عالم بريطاني- مكتشف أعظم اكتشاف في القرن ٢٠ وهو ال"DNA"، وهو أيضا من أكبر المدافعين عن نظريّة التطوّر، حيث قام بعمل تجربة من خلال ال DNA، وقال: "يستحيل أن يكون هناك تطوّر، بل هناك خلق هنك إله!".
١٥-أنتوني فلو Antony Flew -فيلسوف بريطاني- وهو من أنصار التطوّر، وكان ملحدا ومن أعتد الملحدين وأشرسهم في العالم، ومن خلال تجاربه على الخليّة وما يوجد فيها من تعقيدات وتركيبات أعلن توبته.
١٦-دوغلاس فوتويما Douglas Futuyma -عالم أحياء أمريكي- كان تطوّري، ومن خلال تجاربه أعلن توبته، وألّف كتب ضد نظريّة التطوّر.

وغيرهم الكثير.. ومن وجهة نظر هؤلاء العلماء فإنه لا يوجد كشف علمي واحد أو نظريّه تجريبيّة واحدة تؤيّد ركيزة نظرية التطور، وكل الوسائل التي جُرّبت أثبتت بطلان النظريّة وفشلها.

علماء مُحتالون ومُضللون.. وحفريات مزوّرة

١- إرنست هيكل Ernst Haeckel -فيلسوف وعالم أحياء ألماني- صاحب نظريّة التّلخيص، في نهاية القرن ال ١٩، وتحديداً في ألمانيا، كلّف أحد الرّسّامين بتزوير جنين الإنسان، وقال بخصوص ذلك: "الجنين تطوّر بمرحلة الأسماك والزّواحف والإنسان".

٢- جورج جايلورد سيمبسون George Gaylord Simpson -عالم حفريات أمريكي- قام بجريمة تزوير مخلوق جديد، حيث مزج طائر وديناصور وزواحف على أنّها الحلقة الوسطى المفقودة، أو الحلقة الإنتقاية "Intermediate"، وسمى هذا المخلوق الطائر بالأركيوبتركس "Archaeopteryx "، ولقد أثبت علميّاً أنّ هذا الطّائر ليس الحلقة الإنتقالية، وإنّما هو طائر بكل معنى الكلمة، ولكن بأسنان، وإكتشفت الجريمة عام ١٩٩٢م.

٣- مجلّة ناشيونال جيوغرافيك National Geographic Magazine، عام ١٩٩٧م وتحديداً في الصين، قاموا بجلب طائر بدائي وديناصور من نوع الدرومايوصوريد "Dromaeosauridae"، أو ما يعرف بـ "الرابتورز"، وخلطوهم في بعضهم لتكون النتيجة من هذا المزيج طائر اسمه الركيورابتور "Archaeoraptor"، وقالوا بأنّه هو الحلقه الإنتقالية لتطوّر الكائنات، حادثة التزوير هذه تمت في الصين، وتمّ إكتشاف الجريمة عام ١٩٩٩م، ومجلة ناشيونال جيوغرافيك هي التي فجرت هذه القضية عالمياً، وتعتبر هذه الحادثة هي من أكبر السقطات المهنية في تاريخ المجلة .

٤- تشارلز داوسون Charles Dawson -عالم الآثار البريطاني- في إنجلترا عام ١٩١٢م في بيلتداون، قام داوسون بصنع جريمة علمية، خدعة كبيرة قُدمت فيها بقايا عظام متحجرة على أنها تعود للإنسان الأول، وهذه البقايا تتألف من عظام فك لقرد، وأجزاء من جمجمة إنسان، جمعت في عام 1912م من منجم حصى في بيلتداون شرق ساسكس في إنجلترا، أعطي لهذه العيّنة اسم "الأنسان الفجري" وباللاتينية "Eoanthropus"، ظلت أهمية هذه القطع المتحجرة موضع جدل حتى سطعت الحقيقة في عام 1953 م، حيث تبين أن هذه القطع ما هي إلا قطع مزورة تم تركيبها عمدًا -من الفك السفلي لقرد الغاب وبقايا لجمجمة تعود الى إنسان حديث- لكي يثبتوا أنّ القردة والنوع الإنساني انحدروا من جد واحد؛ كذبة إنسان

بيلتداون ربما تعد الكذبة الأشهر في مجال الحفريات والآثار، وحتى على الصعيد العلمي، وذلك لسبب رئيسي مهم وهو طول المدة التي مضت فيها هذه الكذبة حتى اكتشفت الحقيقة -قرابة ٤١ عام- وليس هذا فحسب، بل قام بصنع جريمة أخرى، حيث أنه عثر على جمجمة انسان في انجلترا، كان قد مات قبل ٥٠٠٠ عام، واتّفق مع بعض العلماء على فك فم قرد الأورنغوتان "Orangutan"، وتركيبها على جمجمة هذا الإنسان، ولقد قام باكتشاف هذه الجريمة عالم الطّبيعة " كينيث أوكلي "Kenneth Oakley" وقد بقيت هذه الجريمة ٤١ عام قبل اكتشافها، وهي أكبر خديعة في تاريخ علم الأنثروبولوجيا على الإطلاق (إنسان بيلتداون Piltdown Man)
وكان كينيث أوكلي هو البطل الحقيقي الذي أنهى أسطورة "إنسان بيلتداون" وكشف خداع تشارلز داوسون.

٥- الإنسان الكونجو ota benga، وهي واحدة من أكثر القصص المأساوية في تاريخ العلم، وتعتبر جريمة لا تغتفر؛ الإنسان الكونجو هو قزم من الكونغو، تم تقديمه في معرض الأنثروبولوجيا، حيث تم تدمير قريته، وقتل زوجته، وأبنائه، وبعدها قاموا باصطياده، وحقنه بمواد منوّمة، وحبسوه لعامين وحده فقط، ثم نقلوه إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٤ بواسطة مستكشف أمريكي يُدعى صامويل فيرنر، ثم وضعوه داخل قفص في حديقة حيوان برونكس بنيويورك مع قردة "الأورانغوتان"، وتم عمل كتب ودعايات حوله بأن اصل الانسان قرد، وان ota benga هو الحلقة الوسيطة التي تطوّر منها الانسان، ولقد قام علماء التطور بعرضه على الجمهور في معرض سانت لويس العالمي إلى جانب أنواع أخرى من القردة، ولكنه في النّهاية قام بالإنتحار!! وغيرها الكثير من عمليات التزوير في سجل التطور وعلم الأحياء والآثار وما يتعلق بها، والتي قام بها علماء التطور وأنصار النظرية على اختلاف مجالاتهم.

في النّهاية.. ما ذكرته آنفاً يثبت أنّه لا يوجد أي حفريّة لكائن وسيط أو إنتقالي، وأنّ كل الكائنات خلقت مرّة واحدة في صورة كاملة وآنية، وكان من بثها غائية وهدف، وأن كل الحفريّات الموجودة للمخلوقات في السجل الأحفوري هي للكائن نفسه -كل كائن من عائلته وفصيلته التي ينتمي لها- وهذا الكائن هو هو لم يتغير ولم يتبدّل ولم يتحوّل ولم يتطوّر لا قبل ملايين السنين ولا بعدها.

علماء إعترفوا بالخلق وأنكروا التطوّر.. منهم من أسلم

١-أستاذ الجراحة في كندا البروفيسور "تي. في. إن. بيرسود T.V.N. Persaud"، كتب يقول:

"كان محمد -صلى الله عليه وسلم- شخصاً عادياً جداً، وكان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، ونحن نتحدث عن فترة ما قبل ١٢٠٠ عام تقريبا -الصحيح ١٤٤٧ه- وعن شخص أمي يأتي بعبارات دقيقة ومدهشة بالمقياس العلمي، وأنا شخصيّاً لا يمكنني الإقتناع بأن الأمر مجرد صدفة، لأن النصوص فيها تفاصيل دقيقة وكثيرة جدا، وأنا مثل الدكتور مور، لا أتردد في اعتبار ذلك وحيا إلهيا."

٢-أستاذ علم الجينات الجزيئية في تكساس البروفيسور "جو لي سيمبسون Joe Leigh Simpson"، كتب يقول:

"وعلى ذلك فإن القول بعدم وجود تعارض بين علم الجينات والدين لا يكفي، بل إن الدين في الحقيقة هو من يرشد العلم عن طريق استصحاب الوحي مع بعض المفاهيم العلمية التقليدية، ويوجد في القرآن عبارات أثبت العلم أيضا صحتها بعد قرون من الزمن، وهذا يدعم المعرفة القائلة أن القرآن منزل من عند الله."

٣- أستاذ المتحجرات بجامعة نيويورك البروفيسور "أليسون بالمر Allison R. Palmer"، تطرق الى قوله تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"، ثم استعرض بعض الآيات، كقوله تعالى: "أخرج منها ماءها ومرعاها"، "والجبال أرساها"، "والأرض ذات الصدع"، "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور"، "والأرض بعد ذلك دحاها"، "أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها"، "وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي"، وتحدث في تفسيرها وتأويلها.

٤- رئيس قسم التشريح بجامعة توماس جفرسون البروفيسور "مارشال جونسون Marshall Johnson"، تكلم في جزئية تكوّن الجنين في مراحله الأولى في القران الكريم، ثم قال:

"لا يكتفي القرآن بوصف النمو الخارجي للجنين فقط، ولكنه يوضح أيضاً الأطوار الداخلية لخلق ونمو الجنين، مؤكداً مراحل النمو الأساسية التي عرفها العلم المعاصر".

٥- أستاذ طب الأجنة البروفيسور "جيرالد جيرينجر Gerald G. Goeringer"، كتب يقول:

"هناك عدد من الآيات التي تحوي وصفاً شاملا لنمو الإنسان، منذ امتزاج الأمشاج إلى تخلق الأعضاء، ومثل هذا السجل الكامل والمتميز لنمو الإنسان، بما فيه من تصنيف وتعبيرات وتوصيفات لم يكن موجودا فيما سبق، وفي أغلب الآيات إن لم يكن كلها، نجد أن هذه التفاصيل تسبق بقرون عديدة ما هو مدوّن في الطب التقليدي عن مراحل النمو الجنيني المعروفة".

٦- أستاذ علوم البحار والجيولوجيا البروفيسور "وليام هاي William Hay"، كتب يقول:

"أجد من المثير جدا للاهتمام، أن مثل هذه المعلومات هي موجود في القرآن الكريم، وليس لدي أي علم من أين أتت؟ لكن من المهم للغاية أنها موجودة، وهذه المهمة مستمرة لكي تكتشف معاني بعض العبارات، ولابد أن المصدر هو الوجود الإلهي"، وكان ذلك في أحد المحاضرات.

٧- أستاذ الجيولوجيا البروفيسور "ألفرد كرونرAlfred Kroner "، كتب يقول:

"إن شخصا لم يعرف شيئا عن الفيزياء النووية قبل أربعة عشر قرناً، لا يمكنه أن يكتشف من بمعطيات عقله آنذلك أن الأرض والسماوات أتت من أصل واحد، على سبيل المثال، مع الأسئلة الأخرى الكثيرة التي ناقشناها هنا"، وكان ذلك في أحد محاضراته، ولقد شارك كرونر في مراجعة نصوص دينية تتعلق بنشأة الكون والأرض.

٨- رئيس قسم الجراحة البروفيسور "تيجاتات تيجاسين Tejatat Tejasen "، صرّح يقول:

"خلال السنوات الثلاث الماضية أصبحت مهتما بالقرآن، ومن دراساتي وما تعلمته خلال هذا المؤتمر -المؤتمر الطبي السعودي- أعتقد أن كل ما هو مدون في القرآن منذ أربعة عشر قرناً لابد أن يكون الحقيقة التي يمكن إثباتها بالوسائل العلمية، وبما أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يقرأ أو يكتب، فلا بد أنه رسول نقل لنا الحق الذي أوحاه إليه الخالق الحقيقي، والخالق لابد أنه هو الله، وأعتقد أنه حان الوقت لأقول -لا إله إلا الله محمد رسول الله- إن أغلى ما اكتسبته من حضوري في هذا المؤتمر هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، واعتناقي الإسلام" .

قصة إسلام العالم والبروفيسور كيث مور (Keith L. Moore)

شذرات من سيرته..

هو من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، ويعد همزة الوصل بين علم التشريح الأكاديمي الصارم ونقاشات الإعجاز العلمي في الثمانينيات، وكان أستاذاً لعلم التشريح ورئيساً للقسم في جامعة تورنتو بكندا، وقد ألف كتابه الشهير الإنسان النامي "The Developing Human"، والذي يعتبر المرجع الأول لطلاب الطب في العالم، وقد تُرجم إلى أكثر من ٨ لغات.

في عام ١٩٨٤م استلم الجائزة الأكثر بروزاً، جائزة جي. سي. بي. غرانت (J.C.B. Grant Award) المرموقة في عام 1984، من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشري، والتي قدّمت في حقل علم التشريح في كندا.

وهي تقدم في العديد من الجمعيات الدولية، كالجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية وغيرها.

قصة إسلامة باختصار..

يقول.. دعيت في احدى المرات لحضور مؤتمر للإعجاز العلمي في موسكو، ولكني لم أرغب في حضوره، وتحدثت مع نفسي: "ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟!".

فقيل لي: "إن الدعوة قد وجهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية، لذلك لا مفر من الحضور، فذهبنا إلى موسكو، وعندما وصلنا ودخلنا المؤتمر، وبعد مضي الوقت، تم تلاوة بعض الآيات الكونية وبالتحديد قول سبحانه وتعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}. (السجدة/ ٥) فوقف أحد العلماء المسلمين وقال: "إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين دل ذلك على اختلاف السرعة".

ثم راح يخمّن هذه السرعة قائلاً: "ألف سنة ..لابد وأن تكون ألف سنة قمرية، لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية، والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمريّاً، ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة وهو ٢,٤ بليون كم".

وأردف يقول: "٢,٤ بليون مضروب في ١٢ – وهو عدد شهور السنة – ثم في ألف سنة، ثم يُقسم هذا الناتج على أربع وعشرين – وهو عدد ساعات اليوم – ثم على ستين – الدقائق – ثم على ستين – الثواني -"، فانتهى الى بلوغ سرعة أكبر من سرعة الضوء.

فتدخل أحد أساتذة الفيزياء، وقال: لقد أعتقد اننا من رموز الفيزياء، فإذا بي أواجه علماً أكبر من علمي بكثير، وأعتذر أنني كنت مغيباً عنه، لذلك (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ثم لحق به عدد من المترجمين، ودخلوا في الإسلام.

بالإضافة الى اسلام العشرات من العلماء، وكان من بينهم كيث مور الذي وقف من بين الحشد، وتحدث عن مراحل تكون الجنين في الإنسان، وأن القرآن يصف ذلك بدقة علمية بالغة، وأن ذلك يستحيل أن يكون كلام بشر، وإنما كلام الخالق.

فسأله أحدهم: "هل أنت مسلم؟!؟"، فأجاب: "لا، ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمداً مرسل من عند الله". فقيل له: "إذا فأنت مسلم؟"، فأجاب بأنه لا يمكنه التحدث حول هذا الموضوع، ولكن قد يدخل في الإسلام في يوم من الأيام.

وفي مؤتمر عقد في القاهرة عام ١٩٨٦م حول الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة أعرب كيث مور باعجابه بالإعجاز في خلق الجنين، وبأطواره التي يمر بها والتي ذكرها القرآن الكريم وتتطابق تماما مع علم الأجنة، وبأن هذا لا يمكن أن يكون كلام البشر، أو كلام النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- لأن هذه الأطوار لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وقد اعلن اسلامه أمام الحضور رسميّاً خلال هذا المؤتمر.

ولقد ذكر القرآن مراحل خلق الإنسان التي يمر بها، وهي سبع مراحل، قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ). "سورة المؤمنون: ١٢-١٤".

وقد أثبت علم الأجنة صحة هذه المراحل المذكورة في القرآن، وأنها متطابقة تماماً، وهي كما يلي:

١- أصل الإنسان (سلالة من طين)

٢- النطفة.

٣- العلقة.

٤- المضغة.

٥- العظام.

٦- الإكساء باللحم.

٧-النشأة.

في هذا المؤتمر تم اعتبار تفصيل القرآن الكريم لأطوار خلق الانسان ومراحل تكوّن الجنين دقيقاً، وتم التوصية باعتماده في المواد المدرسية كتصنيف علمي يتم تدريسه، وقد ألف مور كتاباً جامعا يتحدث عن توافق علم الأجنة مع مراحل خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها الجنين في القرآن، وأن ما جاء في القرآن هو وحي من الله سبحانه، وأن محمد -عليه الصلاة والسلام- هو نبي مرسل من عنده.

الفصل الثامن

"الكذب والبهتان في نظرية التطور"

آثار وحفريات تؤكد عدم وجود التطور

كوخ خشبي قديم في جورجيا

كوخ خشبي عُثر عليه في أوائل السبعينات بإحدى المناطق في جورجيا، يعود تاريخه الى ١,٧ مليون سنة، وللصدفة أُكتشف أن الطبقة الثانية من طبقات الأرض والتي يتواجد فيها هذا الكوخ، عاش فيها القرد الجنوبي (أسترالوبيثيكوس Australopithecus) الى جانب الانسان المنتصب (هومو إيريكتوس Homo erectus) في نفس الفترة الزمنية، لكن تبين بعد البحث والتمحيص أن هذا النوع من البناء يستخدم الى الآن في بعض الأماكن في إفريقيا، وأن الإنسان الإفريقي المعاصر مازال يبني ذات الكوت بنفس المعدات.

عظمة بشرية قديمة

تم اكتشاف عظمة لأصبع الخنصر في اليد اليسرى لبشري تعود ل ١,٨٤ مليون سنة، والتي نسبها دعاة التور للإنسان القديم، لكن بعد الاستقصاء تبين تتطابق هذه العظمة مع عظام البشر الحاليين بشكل كبير.

مستحثات لبعض الديناصورات

تحدثت بعض المجلات العلمية عن العثور على مستحاثات لبعض الديناصورات تعود الى ٤٠ ألف سنة، وعن العثور على بقايا بروتينات دم في عظام ديناصور والذي أذيع عنه عام ١٩٩٧م أنه انقرض منذ ٦٥ إلى ٨٠ مليون سنة عام، ثم في عام ٢٠٠٢م تم العثور على أنسجة مرنة ولينة في بقايا عظام بعض الديناصورات، وحسب الرواية الداروينية فإن ذلك يعود الى ملايين السنين نتيجة التطور، لكن في عام ٢٠١٣م وبعد فحص العينات التي أخذت من حفريات الديناصورات هذه، تبين أن أعمارها ما بين ٢٢ إلى ٤٠ ألف سنة فقط.

حفرية ساحل نثروباس تشادينسيز

هي عبارة عن جمجمة قدّر عمرها ٧ مليون سنة، اكتشفت في التشاد عام ٢٠٠٢م بوسط افريقيا، وهي أقدم ما تم اكتشافه كعضو من أجزاء الإنسان، حاول أنصار التطور ابرازها على أنها الحلقة الوسيطة، لكن تبين بعد التمحيص أنها تشبه جمجة الإنسان الحالي.

حفرية وجه صبي

عام ١٩٩٥م تم اكتشاف حفرية من قبل ثلاثة علماء متخصصين في الأنثروبولوجيا القديمة في اسبانيا، وكانت عبارة عن وجه صبي في الحادية عشر من عمره، قُدّر أنها تعود الى ٨٠٠ ألف سنة، حاول دعاة التطور تقديمها على أنها الحلقة المفقودة، لكن وَضح أنها مماثلة للإنسان العصري تماما.

حفرية لفك إنسان

في منطقة بإثيوبيا، تم اكتشاف حفرية لفك إنسان عصري تعود إلى ٢,٣ مليون سنة، والذي بيّن أن الإنسان العصري كان موجوداً على الأرض لفترة طويلة ليس كما كان يعتقد أنصار نظرية التطور.

حفرية الهيكل العظمي

تم اكتشاف حفرية لهيكل عظمي قدر عمرها ب١,٦ مليون سنة، تشبه في شكلها الجسماني الأفارقة الحاليين، وتدعى "Turkana Boy"، وبعد البحث تم تأكيد هويتها التي تعود لصبي في الثانية عشرة من عمره، وانه يشبه تماما الإنسان العصري.

حفرية طائر الأركيوبتركس

هي لكائن مغطى بالريش، له أسنان، ولديه عظمة ترقوة، ولديه عراق ريشة مجوف، اكتشف العلماء أنها ترجع إلى ٢٢٠ مليون سنة، واعتقد التطوريون أن الأركيوبتركس هو الكائن الإنتقالي، لكن تبين بعد التقصي والتحاليل أنه طير كالطيور الحالية تماماً.

آثار أقدام بشر في إحدى طبقات الأرض

آثار أقدام بشر، عُثر عليها عام 1977 في إحدى طبقات الأرض بمنطقة بتنزانيا، وقد قُدّر عمرها بنحو ٣,٦ مليون سنة.

المهم في آثار الأقدام هذه أنها تشبه تماماً أثار أقدام الإنسان العصري، وقد تمت دراستها من قبل بعض علماء علم المستحاثات مراراً وتكراراً، وكانت النتيجة أنها تشبه آثار أقدام الإنسان العصري، ولا تختلف عنها في شيء، وتعود في سماتها الشكلية للإنسان العاقل اليوم "Homo Sapiens" .

ولقد كشفت بعض الدراسات المحايدة على المستحثات البشرية أن أقدام البشر القدماء تشبه الى حد كبير أقدام الإنسان العصري، وأنهم كانوا أناساً عاديين مثلنا، لكن أنصار التطور من علماء ومفكرين وأكاديميين وباحثين لم تعجبهم هذه الحقيقة التي مضغت أحلامهم، بأن الإنسان العصري الذي يمشي على ظهر الأرض الآن، هو هو نفسه الذي كان يمشي عليها قبل ٣,٦ مليون، لذلك عمد أنصار النظرية الى الكذب والبهتان ومحاولات بائسة للتزوير والروغان وتشويه الحفريات لإنقاذ النظرية، لأنه كان من الصعب عليهم تقبّل الحقيقة أن الإنسان القديم هو نفسه الإنسان الحالي، لذلك كان لزاماً عليهم الكذب والبهتان لإبقاء النظرية على قيد الحياة.

تزوير الحفريات

سمكة السيلاكانث (Coelacanth)

هي نوع من الأسماك، وتعد واحدة من أكثر الاكتشافات العلمية إثارة في القرن العشرين، حيث يلقبها العلماء بـ "المتحجر الحي"، وجد أنصار النظرية في حفرياتها بقايا أعضاء داخلية ظنوا أنها متطورة من البرمائيات، اعتقدوا أنها عاشت منذ ٦٦ مليون سنة.

حاول بعض علماء التطور اللعب والخداع وتعيينها على أنها السلف للبرمائيات، فاعتبروها إحدى أدلة نظرية التطور القوية، لكن تبين عدم صحة ذلك، وأنها سمكة تعيش في وقتنا الحالي داخل المحيطات، وتم اصطيادها.

أحفورة إنسان بلتداون (Piltdown Man)

تم العثور على عظمة فك وجزء من جمجمة داخل حفرة بإنجلترا، وتبين أن عظمة الفك هذه تشبه عظمة فك القرد، أما عن الجمجمة فكانت أشبه بجمجمة الإنسان، وقد قدر عمرها أنها تعود إلى أكثر من أربعين ألف سنة.

قام مؤيدوا نظرية التطور من علماء بأكبر خدعة علمية في التاريخ، حيث عَمَدَ أحدهم إلى تزييف الأحفورة، فدمج جمجة بشرية حديثة مع فك سفلي لحيوان إنسان الغاب "أورانجوتان".

ثم قدمها بوصفها الإنسان الأول والحلقة الإنتقالية الدالة على تطور الإنسان، لكن علماء المتحجرات البريطانيين اختبروها ليكتشفوا زيفها.

حفرية الروديسيتوس (Rodhocetus)

هي جنس منقرض من الحيتان الأولية التي عاشت في العصر "الإيوسيني" قبل حوالي ٤٠ إلى ٤٧ مليون سنة، اكتشفها "فيليب جنجريتش" وهو مدير متحف الحفريات بجامعة ميشيغان بأمريكا، لها أطراف وزعانف، وزعم أنصار التطور أنها الحلقة الوسطى لتطور الحوت.

لكن، تبين لاحقا أن في مقابلة أجرت بأنه تم تزييف الحفرية باسم داروين، حيث أضاف العلماء زعانف وذيل الحوت عندما لم يتم العثور على ذيل وزعانف له.

أحفورة أركيورابتور (Archaeoraptor)

زعم مؤيدوا نظرية التطور أنها خليط بين صفات بدائية وحديثة وأنها الحلقة الوسطى بين الطيور والديناصورات الأرضية، لكن اكتشف عالم الأحافير الصيني en:Xu Xing (paleontologist) بعد التقصي أن الأحفورة مفبركة وزائفة، وأنه تم دمجها بجسم طائر بدائي، وتعتبر واحدة من أشهر السقطات العلمية في التاريخ الحديث.

حفرية رجل أورك (Orc Man)

تم العثورعلى جمجمة وجدت في إسبانيا في عام ١٩٨٢م، وصرّحوا بأنها أقدم أحفورة للإنسان في أوراسيا، ولكن تبين لاحقا أنها لحمار عمره أربعة أشهر من العصر البليستوسيني.

متحجرة إنسان نبراسكا (Nebraska Man)

عثر عالم الجيولوجيا "هارولد كوك" في ولاية نبراسكا الأمريكية على ضرس واحد فقط من إنسان نبراسكا عام ١٩٢٢م، والذي يعود إلى العصر البليوسيني، حيث أرسل الضرس إلى العالم "هنري فيرفيلد أوزبورن" رئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، الذي أعلن أن الضرس يعود لنوع جديد من القردة العليا القريبة من الإنسان، وأطلق عليه اسم "Hesperopithecus" وقد سعد بذلك علماء وأنصار الطور.

لكن تبين لاحقا أن الضرس يعود إلى خنزير بري.

أحفورة إنسان بحيرة رودولف (KNM-ER 1470)

سميت الحفرية علمياً باسم جمجمة KNM-ER 1470 ، تعود لنوع إنسان رودولف (Homo rudolfensis) اكتشفها "برنارد نغينيو" عام ١٩٧٢ بالقرب من بحيرة رودولف (المعروفة الآن ببحيرة تركانا) في كينيا.

وجه الحفرية مماثل للإنسان، ولكن جمجمتها صغيرة تشبه جمجمة القرد الأسترالي، قدرت على أن عمرها ٢,٨ مليون سنة، واعتبرها علماء التطور وأنصار النظرية على أنها الحلقة المفقودة بين القرد الجنوبي والإنسان، وأنها أعظم اكتشاف في تاريخ الأنثروبولوجيا.

لكن تبين لاحقاً أن هناك تزوير قد حدث عن عمد، حيث وَضَحَ أن
وجه الجمجمة جاء نتيجة لصق معيب لأجزاء الجمجمة، وأن الحفرية تعود لقرد من أنواع القردة الجنوبية.

حفرية سينوصوروبريكس (Sinosauropteryx)

تم العثور على حفرية ديناصور وُجدت محاطة بطبقة من الألياف الدقيقة التي تشبه الوبر أو "الريش البدائي (Proto-feathers)"، أحفورية لديناصور يسمى Sinosauropteryx في الصين سنة ١٩٩٦م.

أعتبرت الحفرية هي "المسدس النابض" الذي أثبت صحة فرضية تطور الطيور من الديناصورات، لكن اجتمع ستة علماء حفريات غربيّين لفحصها، ليتبين معهم أنه ومن خلال التدقيق في العينات أن التراكيب ليست ريشاً حديثاً، بل عبارة عن ألياف كولاجينية بالية تحت الجلد، وأنها ليست لها أي علاقة بالطيور، وبالتالي تم بطلان إدعاء أنصار ودعاة التطور.

حفرية إيدا (Ida)

تعرف علمياً باسم Darwinius masillae، واكتُشفت في حفرة "ميسيل" بألمانيا عام ١٩٨٣م، وقدر عمرها حوالي ٤٧ مليون سنة.

قدمت سنة 2009 من قبل علماء ودعاة التطورعلى أنها الحلقة المفقودة لسلف البشر، وأنها التطور المباشر للإنسان، لكن تبين بعد دراسة مُطوّلة لبعض العلماء أنها ليست لها صلة بأسلاف البشر، وأنها مجرد قرد ليمور منقرض.

أحفورة لوسي (Lucy)

أحفورة تنتمي لنوع "أسترالوبيثيكوس أفارينيسيس Australopithecus) (afarensis اكتشفها "دونالد جوهانسون" في منطقة هدار بإثيوبيا عام ١٩٧٤م، ويعدها المتطورون والداروينيون أشهر حفرية لأسلاف البشر في العالم، حيث قالوا حولها أنها تطابق كثيراً حفريات الشمبانزي العادي تماماً، إلا جزء الحوض والركبة اللذان يدلان على أن لوسي كانت قادرة على المشي منتصبة القامة، لكن اكتُشف لاحقاً أن هناك عظمة لقرد البابون في هيكل لوسي، بالإضافة أن جمجمتها تشبه القرود، ولديها شكل الفك السفلي بخلاف فك الإنسان، وشكل هيكلها محرج يظهر في هيئته أنه غير بشري، كما أن كاحلها متجه للخلف تماماً كالقردة عكس الإنسان المتجه نحو الأمام، فقرر بعض علماء الحفريات أن هذه الحفرية ترجع لقرد يتسلق الشجر فحسب.

الفصل التاسع

"هدم نظرية التطور"

هدم النظرية من الناحية الفكرية

داروين يقول بأنّ كل الكائنات الحيّة جاءت من الخليّة الأولى "لوكا (LUCA)"، وهي اختصار لـ "السلف المشترك العالمي الأخير Last Universal)" (Common Ancestor، ويُقدر العلماء أنها عاشت قبل حوالي 3.5 إلى ٤ مليارات سنة.

لو سلّمنا بهذا القول، يبقى لدي سؤال: "كيف نشأت الخليّة الأولى- لوكا؟ من أوجدها؟"، داروين وكل علماء وأنصار ودعاة التطور لم يستطيعوا إلى الآن الإجابة على هذا السّؤال؟! فجاء "مؤسسوا النظرية" قديما في القرن التاسع عشر "تشارلز داروين، ألفرد راسل والاس، توماس هنري هكسلي"، ثم بناة "الداروينية الحديثة" في القرن العشرين "أوغست وايزمان، إرنست ماير، ثيودوسيوس دوبجانسكي، جوليان هكسلي"، وصولا الى علماء التطور المعاصرون في نهاية القرن العشرين والواحد والعشرون "ريتشارد دوكينز، فرانسيس كولينز، نيل شوبين" في محاولات عديدة لإنقاذ النظريّة كي لا تسقط، فقالوا أن ظهورها يقع ضمن نطاق "النشوء الحيوي(Abiogenesis)" وأنها اعتمدت في استخلاصها لطاقتها على التفاعلات بين الغازات مثل الهيدروجين وثاني أكسيد الكربون، والتي كانت تتدفق من الفوهات البركانية في قاع المحيط، حيث كانت تستخدم المعادن (مثل الكبريت والحديد) لإتمام عملياتها الحيوية والحصول على الطاقة، وهذه التفاعلات الجويّة والكيميائيّة كانت السبب في حياة هذه الخلية؟! وهنا أرد عليهم بجملة من الأسئلة: "كيف أتت الحياة من أللاحياة؟ وكيف أتى العلم من أللاعلم؟ وكيف أتى العقل من أللاعقل؟".

الأمر الأوّل- إن الذي خلق "آدم الإنسان" ووهبه ملكة "العقل" ليصبح صاحب فكر ومنطق وحجّة وتحليل وبحث وإكتشاف وإختراع بالتّأكيد يملك العقل والعلم الأول والمطلق، وهو الخالق "الله تعالى"، فمنذ اللحظة التي خلق الله سبحانه فيها أبونا آدم علّمه، قال تعالى: "وعلّم أدم الأسماء كلّها"، وقال تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "، فكان آدم بالعلم والعقل يستحق أن يكون خليفة الله سبحانه في الأرض، ولو لم يكن الانسان هو صاحب عملية التعقل من اللحظة الأولى التي خُلق فيها لما أخلفه الله تعالى الأرض؟ ولأخلف الملائكة عوضاً عنه! أو لأخلف الحيوانات! فهي كانت تعيش على سطح الأرض قبل بث الإنسان بآلاف الأعوام.

لم يأتي حتى هذه اللّحظة من يؤنّس الإنسان، بينما الإنسان يؤنّس كل شيء، فعلى مرّ مشوار الحيوانات والانسان معاً على سطح الأرض، لم نشاهد ولو مرّة واحدة

قرداً يخترع آلة حاسبة! أو تمساحاً يحسب سرعة كوكب في الفضاء! أو سحلية تقود سيّارة! لكن الإنسان فعل كل هذا! فكيف بربكم تحاولون إقناع الانسان أنه تطوّر من الحيوان؟! أو جاء هو والقرد من سلف مشترك؟!

وللعلم أقول.. أنني لم أرى ولو مرة واحدة في حياتي حماراً يركب على ظهر إنسان، لكن رأيت الانسان في كل حقب الحياة والعصور يركب على ظهر الحمار!! وهذا يدل على أن الانسان هو من لديه سلطة على الأرض وما فيها، وذلك "بملكة العقل والعلم" فمن أعطاه هذه السّلطة ليكون قائد هذا الكوكب الأزرق؟ إنه الله سبحانه، قال تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة".

الأمر الثاني- دائماً ما تجد الإنسان يفكّر في الغيب، ويسرح في غير المنظور، ويسأل عما وراء السّماء، وعما وراء الوراء، تراه دائم التّساؤل والتصوّرعن وجود آخر وماهية غامضة وشيء عظيم خارج الطبيعة يملك السلطة وبيده كل شيء، وليس كمثله شيء، وهذا يؤشر على أن الانسان مركب من مكنون غير مادّي، وهي -الرّوح- والتي تومئ على أن الانسان كائن مميّز في خلقه، وليس كسائر المخلوقات، وستجد القرآن يؤشر على هذه الروح، قال تعالى: "فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"، وهذه الروح هي حقيقتنا وهي حلقة الوصل بيننا وبين الخالق.

ما قبل القرن الثامن والتاسع عشر، كان الإلحاد مستشرٍ في أنحاء العالم، ولكن عند حلول القرن العشرون، بدأت الأمور في التغيير، فكانت نسبة الايمان الى الإلحاد معتدلة، وفي مجيء القرن الواحد والعشرون وما بعده، انتشر الإسلام بشكل واسع على مستوى المجتمعات، ومازال يمتد ويتوسع، وهذا يفسر على أن العلماء كانوا مفتونين ومتأثرين جدا بالعلم في باكورة الأمر، ويظنونه الإله الجديد الذي يفسر كل شيء، منبهرين في اكتشافاتهم واختراعاتهم التي جعلتهم يؤمنون بالعلم، وينحّون الإله، لكن عندما بلغ الانسان من العلم ذروته وقوته بدأ يتواضع، ويرجع خطوة تلو الخطوة، فوجدوا أن الفلسفات والإكتشافات العلمية لم تفسر أشياء أساسية، منها نشأت الكون، والخلية الأولى "لوكا"؟ فكيف نشأ الكون؟ ومن الذي أوجده؟ ومن أين جاءت الخلية الأولى؟ ومن الذي أوجدها؟

دائما ما يصطدم علماء وأنصار ودعاة التطور بالسؤال الأول، من هو الواجد؟ من هو الصانع؟ من هو الخالق؟

يستحيل أن يكون الأمر صدفة؟ ومن التزييف والبداهة العلمية أن تحيل الأمر إلى الصدفة؟!

وهناك جملة من الإستفسارات أطرحها لنتفكر بها:

الأول: "لو كان الوجود وما فيه من مخلوقات جاء صدفة، فهذا يعني أن العلم أيضاً صدفة! والإكتشافات والإختراعات صدفة! وهذا لا يعقل، ولا يمكن أن يُصدق! وحسب المبدأ العقلي والفلسفي بأن "لكل حدث أو موجود سبباً أو علة أدت إلى وجوده" فالانسان هو المكتشف والمخترع والصانع، والوجود وما فيه من مخلوقات لها من خلقها وأوجدها أيضاً، وإلا لماذا الانسان يصرّ على كونه المكتشف والمخترع والصانع، ويرفض أنه هناك من أوجده وصوّره وخلقه وخلق كل شيء؟!

الثاني: إن النظام التطوّري هو نظام مغلق، ويتغير نحو الأرقى والأفضل، فلماذا لم نصبح ملائكة الى هذه اللّحظة؟ لماذا لم نصبح آلهة مصغّرة؟ لماذا مازلنا نمرض ونتعب وتفتك بنا الأوبئة والآفات؟ لماذا هناك معاقين خرجوا من حوض جيني متطور وسليم؟

إذا كانت نظرية التطور تشير الى تدرّج الكائنات من الأسفل الى الأعلى، ومن الأدنى إلى الأرقى، فلماذا لم يتطوّر الإنسان الى مخلوق أقوى منه وأعلى منه وأرقى منه؟ لماذا نحتاج إلى غيرنا دائماً؟ لو كان العالم نتيجة التطور فهذا يفترض أن يصل بنا الى المثالية المطلقة، بحيث لا مكان للمعاقين أو وجود لهم في المشوار الإنساني الجيني حاليّاً على الأقل! لأنه وبحسب قوانين النظرية فان البقاء للأفضل! وبالتالي لكائن أرقى خالٍ من أي عيب أو نقص! لأنه يتجه الى الكمال المطلق حسب قوانين النظرية! ٧٠ مليون عام تطور فيها الحيوان وأصبح انسان، وبالتالي فإن الإنسان يجب أن يتطور الى إله، لا يمرض، ولا يتعب، ولا يشيخ، وأقوى من الجبال، وأسرع من البرق! فلماذا لم نتطور بعد؟! ولماذا مازلنا تحت العِلل والأمراض؟! ولماذا يولد معاق من حوض جيني سليم؟!

الثالث: من سيأخذ بحق المظلوم والفقير والمضطّهد والمطارد والمقتول، والذين اغتصبت حياتهم في هذه الدنيا؟ من سيحاسب الزاني والقاتل والمجرم والظالم؟ من سيحاسب هتلر وشارون وجنكيز خان ونتنياهو في هذه الدّنيا العشوائيّة والتطوّريّة والميكانيكة؟ هل يُعقل ألا يكون هناك محاكمة لهؤلاء الطغاة الذين أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء؟

الرابع: التطور هو عبارة عن غذاء وطعام وتوالد وتكاثر وبقاء للأصلح "الأقوى"، إذا أين الغائيّة من الوجود والموجودات؟ ما الهدف من الحياة؟ وما هو سر وجود الإنسان والهدف منه بهذا المنطق التطوري؟!

الخامس: أين هي الحلقة المفقودة في التطور التي أنتجت العقل واللّاعقل؟ كيف للعقل والفكر أن يأتي من مخلوق أدنى من الإنسان؟ وإذا كان القرد والانسان تطوروا من مخلوق سبقهم -جد واحد- أو سلف مشترك، كيف حدث التطور من مخلوق لا يملك عقلاً الى مخلوق يملك عقلاً وفكراً يسأل ويبحث ويكتشف ويخترع ويصيغ المعادلات الرياضية والفيزيائية ويحسب عمر الكون؟

السادس: إذا كانت المخلوقات نتجت عن طريق التطور، فما الحاجة الى مصمّم لهذا الكون وخالق له؟ وبالتالي، هذا يعني أن الإنسان قد حل محل الإله! فهل يستطيع الإنسان خلق الحياة أو إيقاف الموت؟!

السابع: أين القيم والمنظومة الأخلاقية في قلب تطور مادي ميكانيكي همجي وأعمى؟ وهل هذا يعني أن يحيى الإنسان حياة وحشية كما الحيوان بلا أخلاق تحكمه أو قانون يضبطه؟

الثامن: الكون عبارة عن زمان ومكان ومادّة وطاقة، وهي متوفرة بين يدي كل علماء الدّنيا، فلماذا لم يتمكنوا الى الآن من بناء كون آخر؟!

الأمر الثالث- الدجاجة عندما تبيض البيضة، تقوم بتقليبها لكي ينجو البيض -الفرخ داخل البيض- السؤال لداروين وأنصار التطور ودعاة النظرية: "لو كان هناك تطور -سواء عن طريق الطفرة، أو الإنتقاء الطبيعي- لهلك هذا النوع -الدجاجة- لأنه لا يوجد من يقلب البيض؟! وهذا يثبت أن هناك من علّم هذه الدجاجة بالفطرة والغريزة أن تقلب بيضها لكي يخرج هذا الكتكوت الصغير.

موضوع الغريزة الحيوانية والفطرة الانسانية هو الذي يقلق داروين وما زال يقلق أتباعه، ولقد كان ذلك باعتراف ابنه فرانسيس في كتابه "التعبير عن الانفعالات عند الإنسان والحيوان The Expression of the Emotions in Man and Animals"، فالله سبحانه وتعالى خلقها ووضع فيها غريزة الأمومة، لذلك ما زالت الكائنات مستمرة الى يومنا هذا الى ان يشاء الله سبحانه، ولا يمكن أن يكون ذلك بالإنتقاء الطبيعي، لأنه يحتاج الى فترة زمنية طويلة، وهذا يؤدي الى انقراض النوع، لذلك نجد غريزة الأمومة التي زرعها الله سبحانه إلى جانب غريزة التضحية -الفرد من أجل الجماعة- لكي يستمر النوع.

وفي هذا الباب تحدث عالم الأحياء التطوري البريطاني جون مايناردسميث (John Maynard Smith) قائلاً: "إذا كان فهمنا لآية التطور صحيحة؟ فكيف نفسر ظاهرة التضحية في عالم الحيوان؟".

في المقابل ذهب عالم سلوك الحيوان البريطاني ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins) بتشييد كتابه الشهير (الجين الأناني The Selfish Gene) لكي يفسر ظاهرة التضحية في عالم الحيوان عبر هذا الجين الأناني ليثبت صحة نظرية التطور!

علماء وأنصار ودعاة التطور، يطلبون مني بكل سذاجة أن أقرأ وأصدق وأؤمن بكل هذه العُقد الغير علمية والغير منطقية فقط لينفوا ويعدموا وجود خالق لهذا الوجود وما فيه؟ لكن على الناحية الأخرى هناك طريق أسهل ومقنعة أكثر عقليّاً ومنطقيّاً وعلميّاً، وهو أن هناك خالق وواجد وربّ وضع في هذه الدجاجة غريزة الامومة!

الأمر الرابع- إذا كان نظرية التطور قاعدتها الأساسيه هي البقاء للأصلح، فكيف نفسّر الإعاقة الفكريّة! الإعاقة الجسدية! كيف نفسّر المرض! وانتشار الأمراض الجديدة!

الأمر الخامس- إذا كنت أنا -الانسان- قد تطوّرت من كائن أقل منّي، فهذا يعني أن الانسان كائن تطور ونما من جرثومة، والنّمل قد تطوّر ونما من جرثومة أيضاً -لا فرق بيني وبين النّملة، نحن الإثنان كائنات بيولوجيّة- إذن، لماذا نتكلّم عن الكرامة الإنسانيّة!

حسب مفهوم الملحدين وتأويلهم العلمي والعقلي بأنّنا كائنات بيولوجية متطورة من كائنات أقل منّا درجة -كالقردة والصراصير وغيرها- فإنه لا داعي لكي نتحدث عن كرامة الإنسان! ولا داعي لوجود حقوق للإنسان وللمرأة! ولا يوجد هناك أي داعٍ لوجود قوانين تنظمع وتحكمه! بالإضافة إلى أنه لا يوجد أي فارق بين ذبح الدجاجة وذبح الإنسان!؟

هدم النظرية من الناحية العلمية

أولا - إختراع المجهر

مع تقدّم العلم أخترع المجهر، وكان أنطوني فان ليفينهوك (Antonie van Leeuwenhoek) باحث وعالم هولندي قد اخترع أول مجهر ضوئي بسيط، شاهد من خلاله كائنات حية دقيقة في قطرات الماء، وهو من أوائل العلماء الذين استخدموا العدسات، وأصبح العلماء يشاهدون أدق التفاصيل بالخليّة الحيّة بعد هذا المولود العلمي، فوجدوا أن الخليّة الواحدة تتألّف من آلاف الأجزاء الصّغيرة، والتي تعمل معاً في وئام وتناسق وترابط (الخليّة الواحدة تحتوي على محطّات طاقة، مصانع، قاعدة بيانات، نظم تخزين معقّدة وضخمة، مصافي متطوّرة، غشاء

للسّيطرة على ما يدور في الدّاخل والخارج من أجل بقاء الخليّة) هذه الأجزاء الصغيرة والدقيقة تعمل معاً وفي وقت واحد من أجل أن تتنفس الخليّة، ومن أجل إنجاح عملها -هذا بالنسبة لخليّة واحدة- كيف يكون في حق عدد الخلايا في جسم الإنسان التي تصل إلى 70 تريليون خلية تقريباً! لذلك يستحيل أن يكون الأمر صدفة! أو إنتخاب طبيعي!

ثانيا - إختراع الميكروسكوب

مع تقدم العلم عبر التاريخ تم أختراع المجهر الضوئي (الميكروسكوب) وكان صانع النظارات والمخترع الهولندي زاكرياس جانسن "يانسن" هو أول من اخترع الميكروسكوب البسيط في القرن السادس عشر، كما يرتبط اسمه أيضًا بصناعة أول ميكروسكوب مركب، وإن كان يُعتقد أن الاختراع الأخير تم بمعاونة والده، جاء الميكروسكوب في أثناء محاولاتهم إيجاد تقريب أكبر في العدسات، والوصول لوضوح أكبر لمساعدة ضعاف النظر، على الناحية الأخرى كان الميكروسكوب الذي استخدمه داروين يكبّر ٢٠٠ مرّة فقط - يُرى سطح الخليّة من خلاله فقط- بينما الميكروسكوب الحالي يكبّر ٢٠٠ ألف مرّة! وهناك ميكروسكوبات تكبّر مليون مرّة -يعني ترى تفاصيل تفاصيل الخليّة- وهذا يوضح أن داروين كان يجهل أشياء كثيرة حول علم الأحياء (البيولوجيا)، ونظرية التطور مبنية بشكل أساسي وكامل على علم الأحياء، لذلك نظرية التطور لداروين كانت تفتقر الى الأدلة البيولوجية التي تعتمد على دراسة الوراثة -الجينات وكيفية انتقالها- وعلم التشريح المقارن -التشابه في بنية الكائنات- وعلم الأحياء الجزيئي -مقارنة تسلسل الDNA- والتي لم يكن يعلم داروين عنها أي شيء! والآن يحاول علماء التطور وأنصاره ترقيع النظرية، وسد ثغراتها التي لا يمكن أن تُسد؟!

ثالثا - ظهور العلوم جديدة

هناك علوم مهمّة وجديدة لم تكن على زمن داروين، وظهورها أثبت خطأ النظريّة وفشلها أيضا الى حدّ ما، منها:

-علم الوراثة: يعتبر العالم والراهب النمساوي جريجور مندل (Gregor Mendel) هو مؤسس علم الوراثة الكلاسيكي، ويعتبر أهم اكتشافات علم الوراثة الكلاسيكي ما يسمى بالارتباط الوراثي في حقيقيات النوى، حيث قام مندل بمراقبة الصفات الموروثة للكائنات الحية وكيفية انتقالها من الآباء إلى الأبناء في منتصف القرن التاسع عشر.

-علم الجينات: انفرد القرن العشرين بمعاودة دراسة وإعادة استكشاف أعمال مندل، وكان ذلك على إريك فون تشرماك (Erich von Tschermak) وهوغو دي فريس (Hugo de Vries) وكارل كورينز (Carl Correns) وهم المثلث الذي أعاد ترقيع صياغة نظرية التطور، وأضاف القطعة الناقصة لنظرية داروين حول كيفية نشوء الغرائز والصفات الجديدة.

في عام ١٩١٥ تم تطبيق المبادئ الأساسية لعلم الوراثة المندلية على مجموعة واسعة من الكائنات أبرزها "ذبابة الفاكهة السوداء البطن" حيث تم تطوير النموذج المندلي بقيادة توماس هانت مورجان (Thomas Hunt Morgan) مؤسس مختبر الذبابة "Fly Room" حيث أجرى تجاربه الشهيرة على ذبابة الفاكهة "Drosophila"، واكتشف من خلالها أن الجينات ليست مجرد وحدات رياضية كما قال مندل، بل هي أجزاء مادية محملة على الكروموسومات.

بالإضافة الى ظهور "علم الأجنّة"، علم "الفيزياء الحيويّة"، علم "الكيمياء الحيويّة"، علم "الإحتمالات في الرّياضيّات" وغيرها من العلوم التي لا يعلم داروين عنها شيء، والتي أثبتت سقوط نظرية التطور.

هدم ركائز النظرية

نظرية التطور تتكئ على ثلاثة ركائز:

١-إنبثاق الحياة من اللاحياة!

٢-الأنواع ينسل بعضها من بعض ليحدث الإنتواع، وبالتالي يجب أن يكون هناك وسيط "حلقة إنتقالية"!

٣-آليّة التطوّر تعتتمد على "الصّدفة، الإنتقاء الطّبيعي، الصّراع من أجل البقاء، الطّفرة، توارث الصّفات المكتسبة"!

لو عرّجنا على هذه الركائز الثلاثة الغير معقولة، ووضحنا مدى الهشاش المبنية عليها هذه النظرية:

أولا - إنبثاق الحياة من اللاحياة:

التّكوين التّلقائي: ان الكائنات تتولّد ذاتياً من خلال وجود جوهر نشط مثل الماء والهواء أو الإثنين معاً، مثال على ذلك -مُخلفات وبقايا الطّعام- إذا غادرتها لمدة بعيدة، ثم رجعت إليها، ستجد أن الحشرات اجتمعت عليها!

قال العلماء وقتها حول هذه الظاهرة، أنه حيث يوجد غذاء تتولّد الحشرات والفئران، كما حال اللحوم، فعندما يتعفّن ويتحلّل اللحم يتولّد الدّود فوقه، وكذلك القمح، فعندما يتعفّن تتولّد الفئران!

جاء العالم الإيطالي فرانسيسكو ليدي (Francesco Redi) الملقب بـ "أب علم الطفيليات"، وهو الشخص الذي وجّه الضربة القاضية لنظرية "التولّد الذاتي" (Spontaneous Generation) في القرن السابع عشر، وقال: "إنّ الذباب حطّ على قطعة اللحم الميت، وكان في جعبته حينها بعض البيض، فتركه، وفقس على اللّحم وتكوّنت الدّيدان!"، وجاء العالم الفرنسي "لويس باستور Louis Pasteur " ليكون هو الشخص الذي أغلق باب "التولد الذاتي" نهائياً، ووضع حجر الأساس لعلم الأحياء الحديث، وقال: "ان الحياة تنبثق من الحياة، وقدّم دليله على ذلك، فقام بحفظ الطّعام بعلبه معدنيّة لفترات طويلة من الزّمن، ولم تنتج الدود".

جسم الإنسان يحوي على ١٠ آلاف كائن طفيلي، تكون هذه الكائنات حتّى على أدقّ تفاصيل جسمه داخليّاً وخارجيّاً، لذلك عندما يموت الإنسان يمر بمرحلة التيبّس، ثمّ التحلّل الدّموي، ثمّ التحلّل الذّاتي الجسدي، ثمّ التعفّن، ثم تقوم هذه الكائنات الدّقيقة بالتهام جسد الإنسان عند الموت، وأيضا جسم الإنسان مكون من ١٦ عنصر متواجدة في التّراب، وعند موته ترجع هذه العناصر الى التّراب الذي خُلق منه.

ولو تطرقنا الى هذا المثال، لو جئت ببرميل، ووضعت فيه كل المواد التّي تحتاجها، ثم تركته فترة زمنيّة طويلة، هل يُعقل أن يخرج من هذا البرميل إنسان يمشي؟! قرد؟! وردة؟! حمامة؟ صرصور؟! نمله؟! مستحيل طبعاً..

مثال آخر: الDNA أُكتشف عام ١٩٥٣م على يد العلماء الأربعة، فريدريك ميشر (Friedrich Miescher) أوزوالد أفيري (Oswald Avery) جيمس واتسون وفرانسيس كريك (Watson & Crick) روزاليند فرانكلين (Rosalind Franklin)، والDNA عبارة عن حلقات تتّصل ببعضها البعض في سلسلتين، وملفوفة ومدفونة في النّواة، وعدد الخلايا في جسم الإنسان ٣٧ ترليون خليّة تقريباً! وكل خليّة يوجد فيها DNA! والDNA يوجد فيها ٣ مليار حرف مرتّبة بطريقة لا يمكن ويستحيل الخلط بينها! والبروتين يكون عليه مناطق للإرسال والمستقبل والعنوان والرّقم! وطول الشّرايين في جسم الإنسان تصل الى ١٠٠ كم! هل يعقل أن يكون هذا كلّه نتاج الصدفة؟! هل يعقل أن يكون هذا دون مُنظّم؟! وبدون مدقّق؟! أو مصمّم؟! أو دون مُوجد وخالق؟! يستحيل أن تكون هذه الحسابات وهذه الصورة من

الخلق دون خالق يعلم كل شيء؟! هناك مصمّم ومنظّم وموجد وخالق، وهو الله تبارك وتعالى.

وبالتالي تم هدم الركيزة الأولى في نظرية التطور، والتي تقول أن الحياة تنبثق من اللاحياة!

ثانيا - تطوّر الأنواع من بعضها البعض:

القاعدة التطورية تقول: النّوع الأدنى يتحوّل -حلقة إنتقاليّة- الى كائن إرتقائي أرقى وأفضل منه.

ولو تطرقنا الى هذا المثال، كائن (مائي) سمك تطورت الى ضفدع (برمائي) تطور الى سحلية (زاحف) تطورت الى قرد (ثديّات) تطورت الى إنسان؛ السّؤال العلمي والمنطقي: "أين الحلقة الوسطى؟"، "أين الحلقة الإنتقالية؟".

وبالتالي تم هدم الركيزة الثانية في نظرية التطور، والتي تقول بتطور الأنواع من بعضها البعض!

ثالثا - آليّة التطوّر "الصّدفة، الإنتقاء الطّبيعي، الصّراع من أجل البقاء، الطّفرة، توارث الصّفات المكتسبة":

١-هدم مبدأ الصّدفة:

مثال - هرمون الولادة: عند مرحلة الولادة، يرسل عنق الرحم رسالة الى الغدّة جارة الكلى بفرز هرمون الولادة "أكسي توسيم"، حيث تقوم الغدّه بفرز الهرمون، ثم يسير الى عنق الرّحم لآداء وظيفيتين، الأولى "تسهيل الولادة"، والثانية "تنشيط الغدّه اللّبنيّة في ثدي الأم" من أجل افراز الحليب للرّضاعة.

السّؤال الأوّل: من الذّي عرّف عنق الرّحم أن اليوم ٢٨٥ (٩ أشهر) هو وقت الولادة؟

السّؤال الثاني: لماذا طلب فرز هرمون الولادة (أكسي توسيم) تحديداً؟! مع أنّه يوجد آلاف الهرمونوت غيره؟

السّؤال الثالث: كيف حدّد المكان؟ كيف عرف أن الوجهة هي الى الغدّة فوق الكلية؟

السّؤال الرابع: كيف عرف الجسم بأن هذا الطّفل بحاجة الى الحليب؟

كيف تكون هذه العملية الدقيقة والمُوجهة صدفة؟! إنّه قانون محكم ودقيق! إنّه قانون الخالق، الله تبارك وتعالى.

أيضاً، الصّدفة لها قانون، وهي أنّها تتناسب عكسيّاً مع عدد الأشياء التي يُختار منها، وكلّما كثرت الأشياء كلّما قلّت الصّدفة، وهذا مستحيل علميّاً!

جزء البروتين يتألّف من ٤٠ ألف ذرّة ومن ٥ عناصر (كربون، أكسجين، هيدروجين، نيتروجين، كبريت) السّؤال: هل يمكن للخمسة عناصر هذه أن تتّحد بالصّدفة لتكوّن البروتين؟ مستحيل علميّاً! وان حدثت الصدفة، ما هي نسبة الإحتمال؟ وكميّة المادّة؟ والزّمن المستغرق؟ وغيرها الكثير من الأسئلة! وهذا بالنّسبة الى بروتين واحد فقط، فكيف بالنّسبة للخليّة وما فيها!

مثال آخر: لو كنت تسير في مكان ما، ووجدت Led tv ثلاثي الأبعاد، وأخبرك أحدهم أنه هذا التلفاز جاء صدفة، هل تصدّق؟ لن تصدّق! ويستحيل عقليّاً أن تصدّق! فكيف تصدّق أنّ عين الإنسان التي هي أكثر تعقيداً من الكاميرا وجدت بالصّدفة! لقد قال داروين في كتابه: (ان لم تجد نظريّتي تفسيراً لوجود الأجهزة المعقّدة في الإنسان ك"العين" مثلاً، فإنّ النّظريّة سوف تفشل!).

الDNA عبارة عن بنك المعلومات في الجسم، والجسم الواحد يوجد فيه ٣٧ ترليون خليّة، أي أنّ فيه ١٠٠ مليون مكتبة يتم استنساخ المعلومات الوراثيّة بدقّة فائقة فيها، ولا مجال لأي خطأ بسيط في هذه العملية، وهذا يدل على قدرة الخالق فقط.

كما أن الجسم يوجد فيه (٣٧ ترليون خليّة - ١٠٠ مليون مكتبة - مليون صفحة - ٣٠٠٠ حرف) كل ثلث ساعة يتم نسخها، ويوجد أنزيمين (الأول وظيفته تحديد الخطأ وإزالته، والثّاني ينسخ الحرف الصّحيح) ثمّ يأتي أنزيم ثالث للتأكّد من صحّة النّسخ والتّدقيق، أين الصدفة في ما تقدم ذكره؟!

عدد العظام في الإنسان ٢٠٦ عظمة، عدد العضلات ٦٠٠٠ عضلة، ١٠٠ مليون خليّه عصبيّة، ١٠٠ ألف كيلو من الشّرايين والأوردة، ١٠ آلاف عضلة سمعيّة، ٢ مليون فئة عصبيّة، ناهيك عن لون البشرة، شكلها، الجهاز البصري والسمعي والتناسلي والهضمي، الملامح، الطول، العرض، كل ذلك وغيره مما لا يتسع الحديث عنه لا يعقل أن يكون صدفة!!

وبالتالي تم هدم البند الأول من الركيزة الثالثة في نظرية التطور، ألا وهو مبدأ "الصدفة"!

٢-هدم مبدأ الصراع من أجل البقاء:

مثال حول علم الحيوان (Zoology): ترى الفيل بجانب الزّرافة والعكس، لماذا؟ لأن الفيل سمعه قوي وبصره ضعيف، أمّا الزّرافة سمعها ضعيف وبصرها قوي جدّاً، يقومون معاً بإصدار إشارات لبعضهم، وهذا يدل على وجود تعاون وتكافل ورحمة بين الفيل والزرافة من الدّفاع والخطر أو الهجوم أو الهرب، وهذ مثبت في علم الحيوان، والسّؤال الآن: "أين هو الصراع من أجل البقاء في هذه اللوحة الرحموتية؟ ومن الذي علّمهم وأرشدهم الى ذلك؟

وبالتالي تم هدم البند الثاني من الركيزة الثالثة في نظرية التطور، ألا وهو مبدأ "الصراع من أجل البقاء"!

٣-هدم مبدأ الإنتخاب الطبيعي:

مثال أيضا حول علم الحيوان (Zoology): الغزال سرعته ٦٥ كم\ساعة، والأسد سرعته ٤٥كم\ساعة، معنى ذلك أنه لا يمكن للأسد أن يصطاد الغزال ويأكله! لكنّه يأكل الغزال المريض والضّعيف فقط، وعليه فإنّ الغزلان القويّة هي التي تعيش وتستمر في البقاء، والسّؤال الآن: "هل هذه الغزلان القويّة ستتحوّل الى مخلوق آخر؟"، حيث أن النظريّة تقول: "الطّبيعة تنتقي دائما التخلّص من الأفراد الضّعيفة والمريضة والغير متكيّفة مع البيئة، وتستبدلها بأفراد قويّة وسليمة ومتكيّفة مع البيئة، ولكن ما نشاهده منذ أن خلق الله الكوكب أن الغزال بقي غزالاً! والغزال هو هو ذاته في العصر الحجري والعصر الرقمي!

وبالتالي تم هدم البند الثالث من الركيزة الثالثة في نظرية التطور، ألا وهو مبدأ "الإنتخاب الطبيعي"!

٤-هدم مبدأ الطفرة:

مثال حو ذبابة الفاكهة: عام ١٩٤١ اجتمع العلماء في مجالات عديده لإنقاذ نظريّة التطوّر بعد فشلها وسقوطها، فقاموا باختراع علم الطّفرة، والذي يقوم على عملية الإنتواع -تحوّل نوع الى نوع آخر- ومبدأ الطّفرة هو قطع واستبدال اللّبنات المكوّنة من الDna، فقام العلماء بدراسة علمية وحث الطفرة على ذبابة الفاكهة لمدة ٥٠ عاماً، فحدث تشوّه لهذه الحشرة، ونبتت أقدامها من رأسها! واستنتج العلماء أنّ الطّفرة تؤدّي الى أقزمة أو عملقة أو سراطانات أو توحّد أو تشوّهات خلقيّة أخرى! وأنواع الطّفرات إمّا داخليّة أو خارجيّة، وأي خطأ عند نسخ شريط الDNA تحدث طفرة داخليّة، ينتج عنها مصيبة وكارثة وتشوّهات، وهي نادرة، وأي تعرّض

لمعالجات اشعاعيّة أو كيميائية أو لدرجات حرارة مميتة، أو اضاءات مبهرة، أو ظلمة شديدة، تحدث طفرة خارجيّة، تؤدي الى الاصابة بالامراض الخبيثة والسرطانات، والسّؤال الآن: "كيف تكون الطفرة سبباً في الإنتواع؟ والطّفرة غالباً في جميع أحوالها ضارّة وتؤدّي الى تشوّهات وإعاقات؟!".

قال عالم الأحياء التطوري بي. جي. رانجاثان(B. J. Ranganath): (إن الطّفرة لها ميّزات أربعة: "نادرة، محدوديّة، عشوائيّة، ضارة").

ملاحظة: الطفرة امّا ان تحدث أو لا تحدث، فإذا لم تحدث لا تؤثّر في شيء، وإن حدثت فإنّها تنتج ضرراً كبيراً جدّا، وهي نادرة ما ان تحدث، والطفرة لا تضيف معلومات وراثيّة -DNA- على العكس تماما، بل تعمل على تشويهها، والطفرة لا تورّث الّا اذا كانت في الخلايا التّناسليّة، أمّا إن حدثت في الخلايا الجسميّة فإنها لا يمكن أن تورّث للجيل الثّاني، واذا حدثت في الخلايا التّناسليّة، فيمكن أن تورّث للجيل الثّاني ولكن بضرر .

وبالتالي تم هدم البند الرابع من الركيزة الثالثة في نظرية التطور، ألا وهو مبدأ "الطفرة"!

٥-هدم مبدأ توارث الصفات المكتسبة:

تقول النّظريّة أن الصّفة المكتسبة من البيئة والطبيعة تورّث!

لو ضربنا مثال: المسلمون يختتنون أطفالهم منذ ١٤٠٠ عام، لم يثبت الى هذه اللّحظة ان طفلاً مسلماً واحداً وُلد مختوناً لوحده! والأمثله كثيره في هذا السّياق ...

وبالتالي تم هدم البند الخامس من الركيزة الثالثة في نظرية التطور، ألا وهو مبدأ "توارث الصفات المكتسبة "!

كل ما تقدم ذكره يقوم بهدم مبادئ النّظريّة وركائزها العلمية، ويوضح أن هناك خالق ومُدبر لهذا الكون وما فيه من كائنات وموجودات، وأن هناك نظام دقيق وغائية وقانون يسري على كل شيء.

هدم الأسس الماديّة للنظرية

تقوم النظرية على ثلاثة أسس ماديّة:

١-المادّة أزلية.

٢-المادّة هي البداية والنّهاية.

٣- المادّة لديها وسائلها الخاصة للتحول من شيء الى شيء آخر معقّد التّركيب.

ومفهوم المادّة الأزليّة: هو أن المادّة بسيطة وليست مركّبة!

-لو عرّجنا على الأساس المادي الذي تعتمد عليها نظرية التطور وفنّدناه بهذا المثال سنجد الآتي:

مثال: الكون وحدة بناءه الذرّة، والذرّة عبارة عن "بروتون، نيوترون، إلكترون"، وهذا يعني أن الكون مركّب وليس بسيط، وبالتالي فإن المادّة مركّبة وليس بسيطة.

نظرية التطور التي تعتمد على الأساس المادي ترى أن المادّة غير قابل للتّجزئة، ولكن الذّرة قابلة للتّجزئة!

نظرية التطور التي تعتمد على الأساس المادي ترى أن المادّة غير قابلة للتدّخل فيها والتّعامل معها، ولكن يمكننا أن نحلل المادة وأن نتعامل معها، وأن نصنع عناصر منها!

نظرية التطور التي تعتمد على الأساس المادي ترى أن المادّة لا يطرأ عليها تغيير، ولكن ثبت علمياً أن المادّة يطرأ عليها تغيير.

نظرية التطور التي تعتمد على الأساس المادي تقول بأن المادّة متحرّرة من الزّمان والمكان، والمادّة مقيّدة بالزّمان والمكان.

هذه أسس ماديّة بنيت عليها نظرية التطور جوهرها أن المادّة أزليّة، لكن تبيّن في الحقيقة أن كل هذا غير صحيح، وأن المادة عكس ذلك تماما، فقد أثبت العلم بالتجارب أن المادة ليست أزليّة، ولها بداية ونهاية!

الفصل العاشر

"خرافة نظرية التطور"

نظرية التطور تعتمد على سبع خرافات:

١-خرافة الأعضاء " أللاوظيفيّة".

٢-خرافة التّماثل.

٣-خرافة التنظيم الذّاتي للمادّة.

٤-خرافة النّظام المفتوح.

٥-خرافة السّيناريو المقترح لتطوّر الإنسان.

٦-خرافة التّصميم المشترك.

٧-خرافة التنوّع.

أولا – خرافة الأعضاء " أللاوظيفيّة".

أثبت علميّاً في عصرنا الحالي أنه لا يوجد عضو في جسم الإنسان إلا وله وظيفة، ولا يوجد أعضاء زائدة أو لاوظيفية كما يدعي علماء التطور وأنصاره، أو كما تقول النظرية.

كان يُعتقد أن العضو الأثري هو "عضو بلا وظيفة نهائياً"، أو فقد وظيفته الأساسية الأصلية التي كان يؤديها في الأسلاف، لكن العلم أعاد تعريف "العضو الأثري"، واكتشف وظائف ثانوية أو مخفية لكثير منها، مما غير النظرة التقليدية عمّا أسماه العلم ب"الأعضاء الأثرية (Vestigial Organs)"، فمثلا، اكتُشف أن الزائدة الدوديّة تعمل كـ "مخزن" للبكتيريا النافعة لإعادة توازن الأمعاء بعد المرض، ولها دور في الجهاز المناعي، وغيرها الكثير من الأمثلة.

ثانياً – خرافة التماثل.

الانسان لديه ٤٦ كروموسوم، القرد ٤٨ كروموسوم، الأرنب ٤٤ كروموسوم نبات الفلفل الأسود ٤٦ كروموسوم، هل يعني هذا أن الفلفل الأسود هو جدّ الانسان؟! أو سلف له لأنه يتماثل معه بعدد الكروموسات؟! وإذا كان أجداد الإنسان وأسلافه قردة من ناحية التماثل -كما يقول بعض علماء ودعاة التطور- فالعلم حالياً يقول بأنه يوجد ٩٠ مليون جين مختلف بين الإنسان والقرد تقريباً!

ثالثاً – خرافة التنظيم الذاتي للمادة.

جاءت هذه الخرافة بعد وقوع النظريّة في أزمة، فقالوا أنه من الممكن أن تُنظم المادة نفسها بنفسها، لكن هناك فرق بين التنظيم الذاتي والترتيب الذاتي، والذي تتحدّث عنه النظريّة هو ترتيب ذاتي وليس تنظيم ذاتي، لأنّ المنظّم هو الخالق.

لو أخذنا هذا المثال: غرفة مظلمة يوجد فيها تراب، هبّت ريح عاصفة مفاجئة، ماذا سيحدث؟ الذي سيحدث أن هذه الريح ستعمل إزاحه للتراب، وستضعه في زاوية الغرفة، وهذا يسمّى ترتيب، لكن هل تستطيع الريح أن ترسم وجه إنسان في التّراب؟! هذا هو التنظيم، والتنظيم يحتاج الى مُنظّم ليقوم بتصوير ورسم وجه الإنسان!

رابعاً – خرافة النّظام المفتوح.

القانون الثاني للديناميكا الحرارية "الثرموديناميك Thermodynamics"، يقول: النظام عبارة عن "كل"، وهذا "الكل" عبارة عن أجزاء، السّؤال: "هل النّظام = مجموعة أجزاءه"، الجواب: "لا يساويه"، النظام = مجموعة أجزاءه + ما بينها من علاقات وثيقة ووصلات دقيقة = قانون الثرموديناميك.

القانون وضعه العالم الفرنسي نيكولا ليونارد سادي كارنو.(Sadi Carnot) ويسمّى قانون كارنو، أو القانون الثاني في الديناميكا الحرارية، أو القصور الحراري، أو الإنتروبي، وهو مقياس يقيس أي خلل في الديناميكا الحرارية.

يقول القانون أنه مع مرور الزمن فإننا نتجه نحو اللّانظام -نظام ثم اضطراب ثم خلل ثم فوضى- بمعنى أن كل الكون يتجه من النظام نحو اللّانظام، على عكس علماء التطور والنظرية التي تقول بأن اللّانظام يتّجه نحو النّظام! وقد أثبتت الحقائق العملية والقوانين الفيزيائية خرافة هذا النظام والمبدأ التي ترتكز عليه نظرية التطور.

خامساً – خرافة السّيناريو المقترح لتطوّر الانسان.

تحول جنس الأسترالوبيثكس (Australopithecus) إلى جنس الهومو (Homo) هو نقطة التحول الكبرى في تاريخ البشرية، وقد حدثت هذه الفجوة التطورية قبل حوالي ٢ إلى ٣ مليون سنة.

أما عن تطور الهومو فقد مرّ في هذه الأقسام الرئيسّة:

١- هومو هابيلس (Homo habilis) يُعرف بـ "الإنسان الماهر"، وهو أول نوع استخدم الأدوات الحجرية البدائية قبل حوالي ٢,٤ مليون سنة. كان دماغه أكبر قليلاً من أسلافه (الأسترالوبيثكس).

٢- هومو إيريكتوس (Homo erectus) يُعرف بـ "الإنسان المنتصب". هو أول من خرج من أفريقيا وانتشر في آسيا وأوروبا. تميز بالتحكم في النار وتطوير أدوات أكثر تعقيداً، وعاش لفترة طويلة جداً (منذ ١,٩ مليون سنة وحتى ١١٠ ألف سنة تقريباً).

٣- هومو نياندرتال (Neanderthals) عاشوا في أوروبا والشرق الأوسط. كانوا أقوياء جسدياً، امتلكوا أدمغة كبيرة، وصنعوا ملابس وأدوات متطورة، وهناك أدلة على أنهم كانوا يدفنون موتاهم.

٤- هومو سابينس (Homo sapiens) الإنسان العاقل" (نحن). ظهر في أفريقيا قبل حوالي ٣٠٠ ألف سنة. يتميز بالقدرة العالية على التفكير المجرد، اللغة المعقدة، والابتكار التكنولوجي والفني، وهو النوع الوحيد المتبقي من جنس "هومو" اليوم.

النظريّة تقول أن القرد الأسترالي الجنوبي (Australopithecus) وجد من ٤ مليون سنة، وعاش ٣ مليون سنة، ومرّ على انقراضه مليون سنة.

عالم التّشريح والحفريّات البريطاني سولي زكرمان (Solly Zuckerman) المعروف أيضاً بـ "البارون زكرمان"، وهو أحد دعاة التطوُّر في إنجلترا، وجد العمود الفقري الخاص بهذه القردة، وكان على شكل حرف " C "، فقام بدراسة عظام هذه الحفريات الخاصة بهم لمدة خمسة عشر عامًا، برفقة خمسة من الأخصائيّين، ووصلوا الى أن هذه القردة كانت تمشي على أربعة، ولم تكن تمشي على قدمين، والهيكل الخاص بهم شبيه بالغوريلا، والجمجمة شبيهه بالشمبانزي، واليدين معدّة لتسلّق الأشجار.

ولقد قام عالم التشريح والأنثروبولوجيا الحيوية البريطاني تشارلز أوكسنارد (Charles Oxnard) وهو أيضًا من دعاة التطوُّر المشهورين، قام بتشبيه الهيكل العظمي للقردة الجنوبية بالهيكل العظمي للأورانغ أوتان الحديث، وفي عام ١٩٩٤م بدأ فريق من جامعة ليفربول بإنجلترا بإجراء بحوث على حفريات القردة الجنوبية للوصول إلى نتيجة مؤكدة، وانتهت إلى أنها كانت تمشي على أربعة أقدام، اذن، هو قرد ابن قرد.

أما عن الحفريّة "Lucy" والتي يُعتقد أنها حلقة الوصل بين الانسان والقرود، فلقد اثبت علميّاً انّها ترجع الى قرد جنوبي، ولقد تحدثت عنها في آنفاً.

والجدير بالذكر أن العمود الفقري الخاص بالقردة يكون على شكل حرف " C " بينما الإنسان على شكل حرف " S "، وبالنسبة للإنسان المنتصب هومو إيريكتوس (Homo erectus) فهو عبارة عن حفريّات لإنسان عادي مثلنا مثله تماماً، مع اختلاف بسيط، كحجم الجمجة، عرض الحاجب، الضخامة، ولم يكونوا من جنس القرود نهائيّاً.

أما عن إنسان هومو نياندرتال (Neanderthals) فقد انقرض منذ ٤٠ ألف عام، وهو جنس أوروبي، وله قوّه بدنيّة خارقة، ويمتاز بقصره عن الإنسان الحالي، كان يعرف الخياطة، ودفن الأموت، ويجيد الموسيقى، أما عن شكل جسده، فعموده الفقري كان على شكل " S "، وجمجته أوسع من الانسان الحالي "١٧٤٠ سم٣"، أما الانسان الحالي فهي تبلغ "١٠٠٠ سم٣"، وقد تبيّن أنه بشر، وليس بحلقة وسطى أو انتقاليّة، بل هو بشر ابن بشر.

وأما إنسان كرومانيون (Cro-Magnon) وهو الاسم الذي أطلقه العلماء قديماً على الإنسان العاقل الأول (Homo sapiens) فقد انقرض منذ ١٠ آلاف عام، وله حضاره وأصول اوروبيّة، رأسه كان مثل القبّه وسعة جمجمته تبلغ "١٥٠٠سم٣"، وجبينه عريض، حواجبه كثيفة جدّاً، ويوجد نتوء ظاهرة في منطقة الظّهر، وأجياله تعيش الى الآن في بولندا وفرنسا وافريقيا.

وبالنسبة للإنسان العاقل (Homo sapiens) والإنسان العاقل العاقل (Homo sapiens sapiens) وهو الاسم العلمي الدقيق للسلالة التي ننتمي إليها نحن البشر المعاصرون، فلا يوجد سوى اختلافات بسيطة، حيث كان يعيش في المجر، وبعض قرى إيطاليا منذ زمن ليس ببعيد، ويمتاز هذا الإنسان بحواجب بارزة كثيفة، فك سفلي مائل للأمام، جمجمة أصغر من جمجمة الإنسان العصري، وينقسم الى قسمين :

الأوّل - إنسان كرومانيون (Cro-Magnon) وتحدثت عنه آنفا، ولكن يقول علماء الأثر أن هذا الجنس مازال يعيش في مناطق مختلفة بالقارة الإفريقية وفي فرنسا.
الثّاني - إنسان هيدلبرغ (Homo heidelbergensis) وهم يشبهون الإنسان الأوربي العصري شبهًا كبيرًا من الناحية التشريحية، وقد عاش هذا الجنس في إنجلترا وأسبانيا.

الانسان العاقل اهتدى الى الكتابة والتعلّم، لكن في المحصّلة الإنسان هو الإنسان، لم يكن قرداً في يوم من الأيام، ولم يكن هو والقردة أبناء عمومة، أو نتاج سلف مشترك نهائيّاً، ولم يكن تطوراً من ظهر حيوان أبداً، وكلّها محاولات زائفة وفاشلة لدعاة وعلماء التطوّر وأنصار النظرية.

سادساً – خرافة التّصميم المشترك.

تتحدث حول أن الإنسان والحيوان توجد لديهم أعضاء مشتركة، كالعمود الفقري مثلاً، ويتنفّسوا ذات الهواء، ويشربون ذات الماء، ولكن هذه التشاركية تدل على أنّ الخالق واحد، وأسلوبه في الخلق واحد، ولا تدل على أنّ هناك تطوّر بتاتاً!

سابعاً – خرافة التنوّع "الإنتواع".

تتحدث عن الآليّة التي تجعل حيوان أو جيل أوعشيرة تتحوّل الى كائن أو جنس آخر، لكن وضح علميّاً وتجريبيّاً بالمشاهدة والتجارب أن مجموعة من البقر تزاوجت وتكاثرت، لكن في النّهاية بقي البقر بقراً، ولم يتحوّل الى حمار مثلا!

في كل العصور والأزمنة وعلى مر التاريخ ومراحل حياة الانسان لم يحصل ولو مرّة واحدة أن تحوّل أي كائن أو حيوان الى آخر، البقر هو هو البقر قديماً وحاضراً، وفي المستقبل، سيبقى البقر هو البقر.

الفصل الحادي عشر

"التطور إيمان وليس نظرية علمية"

نظرية التطور ما بين الحقيقة والبهتان والخيال العلمي، فتتضمّن الحقيقة في أن العالم تشارلز داروين قضى سنين طويلة في البحث عن أصل الحياة وأصل الأنواع، ويتضمن البهتان في أن علماء وأنصار ودعاة التطور من الملحدين وغيرهم، يقومون بتكريس كل جهودهم وآمالهم المعلقة على اثبات صحة النظريّة ولو بالكذب والبهتان، فهي بالنسبة لهم السلاح الوحيد والأقوى لهدم العقائد الدينية والشرائع بالترويج على أنها من صنع البشر، وللتّشكيك في وجود الخالق، ويتضمّن الخيال العلمي في اختراع الحلقات الوسطى وصنع الأحافير مستخدمين الخيال العقلي والعلوم لاثبات صحّة النظريّة بالتزوير.

هناك علماء تكلّموا في التطوّر قبل تشارلز داروين، ومنهم الجاحظ والذي تكلّم عن التطور في الحيوان، وابن خلدون والذي تحدّث في المقدّمة:"أن آخر أفق التراب أول أفق النّبات، وآخر أفق النبات أول أفق الحيوان، وآخر أفق الحيوان أول أفق الإنسان.

وتكلّم عالم الطبيعة الفرنسي "جان باتيست لامارك" صاحب النّظريّة المشهورة في تحوّل الأنواع "نظرية لامارك"، وكانت لدينا في السّابق ثورة العالم الهولندي "كوبرنيكوس" في التطوّر، ولكنّها لم تكن دقيقة، ثم جائت عقبها الثّورة الداروينية، لذلك لم يكن داروين المتحدث الأوّل في هذا المجال.

لقد جرت محاورة جميلة جدّاً بين كلب داروين (توماس هنري هكسلي) وبين الأسقف "صموئيل ويلبرفورس"، فسأل الأسقف صموئيل هكسلي:

"هل يمكن أن تخبرنا أي أجدادك كان قرداً؟ جدك لأبيك أم جدك لأمك؟"، فأجاب هكسلي: "أفضل أن يكون أجدادي قروداً، على أن يكونوا مثلك، لأنّك تتكلم بجهل وتضلل النّاس".

التطور هو فلسفة مادية كمونية، لا تعترف بأي مصدر أو سلطة غير مادية، هدفها يتمحور حول اعدام كل ما هو وراء الطبيعة، وتحديدا مسألة وجود خالق، فهي تسعى الى عزله أو إقصاءه أو حذفه وإلغاءه من التركيبة الوجودية والآلية العلمية والمنظومة الأخلاقية، وهي تسعى إلى إعادة بناء الكون وتكرير الواقع على أساس مادي ميكانيكي مُشيّد على حركة عشوائية وصراع حقير غير غائي نحو البقاء، فنجدها ترسخ فكرة أن العالم وما فيه -وعلى رأسها الإنسان- جاء من مادّة، وهذه المادة انبثق منها كل شيء.

وفي منظومة التطور فإن قوانين الطبيعة تسري على كل الأنواع والكائنات، على الحيوان والإنسان، فقام داروين وأنصار التطور بتطبيق قانون الطبيعة على النوع الإنساني، واعتبروا أن الكائنات بيولوجياً تسير بآلية ميكانيكية من الأدنى الى الأعلى في صراع همجي بربري لا غاية منه من أجل البقاء، ومن جملتها الإنسان، فهو والقرد نتاج ارتقاء من سلف مشترك في النهاية، ومشروع مساواة القرد بالإنسان يهدف الى فك التمحور والتمركز حول الإنسان واستخلافه في الأرض، فلم يعد للإنسان أي مكانة مميزة وخاصة وغائية في هذا الكون!

ولم يقتصر تفصيل انحدار الإنسان في النظرية من ناحية الهيكل والنوع، وإنما على الصعيد التاريخي والإجتماعي والأخلاقي والفكري، فكل شي يفسر في نطاق المادة فقط، حتى العقل الإنساني هو نتاج المادة بالنسبة للنظرية، وتم تعريفه بـ "المادية العلمية"، بالإضافة الى أن النظرية تنفي التصنيف الديني للبشر، وتصنفهم على أساس بيولوجي فقط! وهذا يعني أنه لا يوجد رجال دين، مفكرون، علماء.

والتطور يعتمد آلية البقاء، وهذا يعني أنه لا يوجد مقياس أو معنى للقيم والأخلاق، المهم "البقاء" بأي وسيلة، حتى لو كان الثمن هدم القيم وقتل الأخلاق، ففي المفهوم التطوري لا يمكن تفسير السلوك أو التفريق بين أسد يهجم على غزال ويمزقه ويأكله، وبين شاب يختطف فتاة ويذبحها ويقطعها ثم يأكلها!

وضمن المنظومة التطورية أيضاً لا يوجد أي معنى للحلال أو الحرام، الخير أو الشر، الفرح أو الحزن، فلا يوجد مفهوم اجتماعي أو أخلاقي لـ "العائلة" أو "الأم"، فالقط يأتي أمه ويتزواج معها في المملكة الحيوانية، والطفل يأتي أمه ويتزاوج معها في عالم البشر أيضاً!

ووفق مفهوم التطور لا يوجد ما يسمى بالدين والشرائع، لذلك كان هو الأساس وراء انتشار المبدأ والفكر العلماني والإمبريالي، ولاحقاً الإشتراكي والشيوعي وغيرها من الأيديولوجيات والمبادئ والحركات، كما أنه يُرسخ إلى إنعدام المساواة بين الجنس الآدمي، وعدم الشعور بالآخر، واغتصاب حق الحياة لأي انسان، فأباح ما يسمى ب"القتل الرحيم" وإعدام المعاقين والمجانين، وإجراء عمليات التعقيم على قاعدة وأصل علمي.

إن نظرية التطور هي من قامت بحركة رجعية أعادت توزيع العالم وتقسيمه الى خمسة أسس:

١-العبوديّة: اغتصبت الإنسانية، ورأت أنه من حق الإنسان الأوروبي استعباد الإنسان الإفريقي (الأبيض سيّد، والأسود عبد للأبيض).

٢-العنصريّة: أنشأت مذاهب وعقائد تعتمد على تقسيم الناس والمجتمعات، فقالت بأن أرقى جنس هو الجنس الأوروبّي، وأسقط وأوضع جنس هم العرب، وتحديداً المسلمين.

٣-الإنتهازيّة: بثّت الفروقات، فالمريض والضّعيف والغير متكيّف مع البيئة والطبيعة عليه أن يرحل من هذه الحياة.

٤-الإستعماريّة: ميزت بين الأجناس وفقاً لمقياس القوّة، فقالت أن البقاء للأقوى -يعني للجنس الأوروبي- لإنّه صاحب الحضارة بالأدوات والمخترعات.

٥-الصهيونية: ظهرت حركات سياسية وأيديولوجية قومية كالصهيونية، قامت بالعديد من المذابح والمجازر والنكبات والنكسات وتهجير الشعب الفلسطيني من أرضه.

كل ما سبق ذكره هو ترجمة وأثر للرؤية التطورية والداروينية، وبسببها برز لدينا مجرمون وظلمة وقتلة وسفاحين كهتلر وترامب وشارون ونتياهو وغيرهم.

أما على صعيد الفن والجمال.. فإذا كانت نظرية التطور تفسر أن "البقاء للأقوى"، فهي لا تفسر "البقاء للأجمل"، فهذا النقش الجميل في جناحي "الكناري" لا يمثل أي كفائة! ولون شعر "الهسكي" الرّهيب لا يمثل أي فعاليّة! جُلّها عبارة عن فن ورسم، وكأن هناك يداً قامت بنحتها ورسمها وصبغها وتلوينها، وإذا دخل الجمال في التفضيل فستنهار نظرية التطور، وستبقى عاجزة عن إجابة أهم الأسئلة وهو: "لماذا خرج من الوعل القوي حيوان أرق وأقل منه قوّة كالغزال!؟".

إنّ من جملة الأسئلة التي ستقطع عنق التطور هو: "كيف تفسر نظرية التطور ريشة الطاووس؟"، عندما تشاهد هذا الطير وهو ينفش ريشه العجيب والغريب والرهيب، وكأنك أمام يد رسام وفنان وبديع يتفنن ويُبدع الأشياء! ولسنا أمام صدف وطفرات وعشوائيات وصراع على البقاء!

إن كل ما هو حولك يؤكد وجود خطة مسبقة، وليس صدف عشوائية، فلا يمكن رمي حروف مقطعة في الهواء لتشكل وحدها قصيدة لغارثيا لوركا!!

ولو جئنا ببرميل، ووضعنا فيه كل المواد التّي نحتاجها لخلق أي كائن، وتركناه فتره زمنيّة طويلة، هل يعقل أن يخرج من هذا البرميل إنسان؟ قرد؟ نبات؟ طير؟ صرصور؟ نمله؟ أو حتى بكتيريا حيّة؟ مستحيل!

إن الضربة القاضية لداروين وللتطور ومجتمعه وعلمائه وأنصاره، أن العلماء إكتشفوا حديثاً أن لكل حيوان خريطة جينية خاصة به، ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب هذه الخريطة، والخط العام للإنسان الذي تطورت فيه أفكاره ومفاهيمه من الإنسان البدائي إلى العالم والفيزيائي يعلمه الله تعالى، لذلك قال تعالى: "إني أعلم مالا تعلمون" (الآية رقم ٣٠ من سورة البقرة).

وبالعروج على "الحلقة الإنتقالية" والتي هي عصب نظرية التطور، فلم يتمكن علماء التطور وأنصار الداروينية من العثور عليها حتى هذه اللحظة، وبالتالي لن تتمكن النظرية من سد هذه الفجوة الكبير بين الاسترالوبيثيكوس -القرد الجنوبي- وبين الهومو -الإنسان العاقل العاقل- دون وجود أهم شاهد علمي، ألا وهو الحلقة الوسطى والإنتقالية للكائنات والأنواع.

وبغياب الشاهد العلمي الوحيد -الحلقة الوسطى والإنتقالية- فإن نظرية التطور تتعلق بالإيمان فيها فقط، فنحن نتحدث عن عملية ميكانيكية وآلية تحدث في زمانية طويلة ممتدة لا تُرى بالعين المُجردة، ولا يمكن اعتبارها نظرية علمية لعدم العثور على الأحافير الانتقالية بين القرد والإنسان، أو الحيوان والإنسان، وعدم العثور على دليل مادي يملأ "الفجوات" في السجل الأحفوري التطوري، يهدم النظرية علميّاً، لأنه لا يوجد دليل علمي مادي إلى الآن كيف انتقلت الكائنات من شكل إلى آخر وظهر الإنتواع!!

ولقد اعتراف تشارلز داروين في مسيرته وعندما وضع نظرية التطور بأن هناك بعض الأدلّة غير موجودة بالفعل، والنظرية لاقت بعض المطبات والصعوبات لغياب الحفريات الوسطية أو البينية أو الانتقالية بين الأنواع، وهي الى الآن مازالت غائبة!

وبالتالي فإن أصل الأنواع هو نتاج عملية غير مشاهدة عبر ملايين السنين، وهي لا تخرج عن نوعين من العمليات، فهي إما تطوّر أو خلق، وكل منهما له سبيله، ويؤدي الى نتيجة كما هو موضح أدناه:

نظرية التطوّر – إيمان بالمادة وأزلية المادة – الكفر – عقيدة الإلحاد – صُدف وطفرات وعشوائية.

أو

نظرية الخلق – إيمان بخالق وبالله تعالى – التوحيد – عقيدة الإيمان – غائية وسبب وهدف.

العديد من كبار العلماء أنكروا التطوّر، كعالم الرياضيات والبيولوجي (ديفيد بيرلينسكي) والعالم الفرنسي (جورج كوفييه) وعالم البيولوجيا الإسباني (مايكل دنتون) وعالم الرياضيات الأمريكي (وليم ديمبسكي) الذين إتفقوا جميعا على أنّ هناك تصميم ذكي أو رشيد "Intelligent design" وأن هناك أدلّه في الكون والكائنات الحية لا يُمكن تفسيرها إلا بوجود مسبّب ذكي وخالق، وليس بمسبب غير موجّه كالاصطفاء الطبيعي.

يقول الناشط السياسي والفيلسوف الإسلامي (علي عزت بيغوفيتش) أن عالم الطبيعة السويسري (تشارلز يوجين جاي) قام بحساب احتمالية الخلق بالصدفة لجزيء بروتين واحد، فوجدها مستحيلة، لكنه افترض بنية بسيطة لجزيء البروتين بأنه يتكون من أربعة عناصر و٢٠٠٠ ذرة، إلى ماذا انتهى؟

وجد أن احتمال خلق البروتين وظيفي واحد بالصدفة تبلغ "10 مرفوعاً للأس ٢٤٣" وهي أكبر من عمر الأرض، حيث أن عمر الأرض يقدر بحوالي ٤,٥ بليون سنة، ونتيجة خلق بروتين واحد يتجاوز عمر الأرض بمرات لا يمكن حسابها!!

وقد قام الكيميائي الألماني (مانفرد أيغن) بإثبات أن جميع المياه على سطح الأرض ليست كافية لإنتاج جزيء بروتين واحد عن طريق الصدفة!

وإذا كانت جميع المياه على سطح الأرض وجل عمر الكون لا يكفي لخلق بروتين واحد عن طريق الصدفة، فكيف نتحدث عن خلق كائن حي -وعلى رأسها الإنسان- والذي يُعتبر أعقد نظام معروف في الكون من حيث التركيب والوظيفة أن يكون نتاج الصدفة أو الطفرة؟! وهذا دليل علمي يدحض المادية ويثقب الإلحاد ويدفن التطور.

هل تعلم يا عزيزي بأن جسم الانسان يتكون من عدد من البروتينات المختلفة التي تتراوح ما بين ٢٠٠٠٠ إلى أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نوعاً مجتمعة معاً؟! فإذا كان عمر الكون بكل موارده لا يكفي لخلق بروتين وظيفي واحد عن طريق الصدفة، فكيف سيخلق إنسان؟!

وإن حدثت الصدفة وتكون جزيء البروتين، فما هو احتمال تكوّن خلية واحدة بالصدفة؟ إن احتمالية تكون خلية واحدة بالصدفة تقترب من الصفر المطلق! فصرّح العلماء من الناحية العلمية والرياضية، أن احتمالية تكون خلية حية كاملة (بكل تعقيداتها) عن طريق الصدفة المحضة مستحيلة إحصائياً؟! وإن حدث المستحيل، ما هي احتمالية خلق انسان كامل بكل تعقيداته الهيكلية والداخلية والوظيفية؟! مستحيل أيضاً، وان تمكن العلم والتطور جدلاً من خلق انسان كامل، ما هي إمكانية خلق كون بقوانين مضبوطة ونظام متكامل كي يعيش فيه هذا الإنسان؟! نحن نتحدث عن المستحيل بعينه..

زعيم الملحدين سابقاً (أنتوني فلو) يصف أزمة الداروينيين المادية والإلحادية قائلاً: "إن مجرد الشروع في التفكير في وضع نظرية طبيعية لتطور أول كائن حي قادر على التكاثر أضحى أمراً في غاية الصعوبة".

لذلك أعلن أشهر فلاسفة الإلحاد عام ٢٠٠٤ أن هناك إله.

إن الصدفة والطفرة هي إله الداروينيين والمتطورين والطبيعيين والماديين والملحدين من علماء وعموم، وهو إله هش لا يصمد أمام الاستقصاء العلمي والعقلي والفلسفي.

في النهاية:

التطور ليست نظرية، بل هي ليست فرضية حتى! إنها بكل بساطة الهطل والهبل بعينه، فلو سألت ابني كريم: "من الذي فتح باب السيارة؟"، فأجابني: "الصدفة، أو الطفرة!"، سأعلم حينها أن ابني مجنون، فهل يُعلق أن يكون هذا الجواب منطقي؟ طبعاً لا، وسأشعر حينها أن ابني يستخف بعقلي!".

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ" (الأية رقم ٧٢ من سورة الحج).

وقال تعالى: " **اللَّهُ خَالِقُ** كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ" (الأية رقم ٦٢ من سورة الزمر).

هناك خالق.. هناك إله.. إنه الله تبارك وتعالى.

الفهرس

المقدمة بقلم الكاتبة والشاعرة / آمال زكريّا ٥

تمهيد ١ ..... ٧

تمهيد ٢ ..... ٩

تمهيد ٣ ..... ١٠

قبل أن أشرع ١١

نظرية التطور ١٣

يوم داروين العالمي ١٦

الفصل الأول "جولة تاريخية مختصرة حول حياة تشارلز داروين" ١٨

الفصل الثاني "رحلة البيجل" ٢٣

الفصل الثالث "مدخل في البيولوجيا" ٣٣

الفصل الرابع "إطار النظرية" ٣٩

الفصل الخامس "كتاب أصل الأنواع" ٥٦

الفصل السادس "ملخص حول نظرية التطور" ٦٣

الفصل السابع "نقد نظرية التطور" ٦٩

الفصل الثامن "الكذب والبهتان في نظرية التطور" ٨٢

الفصل التاسع "هدم نظرية التطور" ٨٩

الفصل العاشر "خرافة نظرية التطور" ١٠٣

الفصل الحادي عشر "التطور إيمان وليس نظرية" ١٠٩

الفهرس ١١٦